وَبَشِّرِ الصَابرين

تأليف

«أبو إسلام»

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن – عمان

يقولُ الله تعالى في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة].

إهداء

أُهدي كتابي هذا: إلى الصابرين على طاعةِ اللهِ، وإلى الصبارينَ عن معصيةِ اللهِ، وإلى الصابرين على الابتلاءاتِ والمحنِ عامةً، وإلى أخي في اللهِ -أبي ياسر/ عبد الصامد هاشم الحلواني- خاصة، لأنه ابتُلي بأمراضٍ عدةٍ، وهو صابرٌ محتسبٌ، راضٍ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه -نَحْسِبُه كذلك واللهُ حسيبُه-

سائلاً المولى في علاه أن يُعَجِّلَ له ولجميع مرضى المسلمين بالشفاء، وأن يجعلنا وإياه وجميعَ المسلمين من الصابرين.

إنه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

أبـــــــــــــو إســـــــــــــلام

صالح بن طه عبد الواحد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَ محمداً عبدهُ ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.

إن مما دفعني لتأليفِ هذا الكتابِ الأسبابِ التالية:

١ - في يومٍ من الأيامِ، وبينما كنتُ أراجعُ عيادةَ أحدِ الأطباءِ، جلستُ أنتظرُ دوري مع مجموعةٍ من المرضى في غرفةِ الانتظارِ، فوقعت عيني على بعضِ المجلاتِ المُعَدَّةِ للمطالعةِ، فأخذتُها ونظرتُ فيها فإذا هي مجلات تضرُّ ولا تنفعُ، وتُفسِدُ ولا تُصلحُ، لأنها تمتلئُ بصورِ المتبرجاتِ، والإعلاناتِ عن المحرماتِ. وغيرِها من المنكراتِ، مما لا يصلحُ أن يطالعَه صحيحٌ فضلاً عن المريضِ، ونظرتُ في وجوه بعض المرضى، فرأيت أنهم قد ضاقوا ذرعا بالانتظار، ونفدَ صبرُهم مما يعانون من آلامِ المرض، فجال في خاطري أن أؤلفَ كتاباً يُذَكِّرُ المريضَ بفضيلةِ الصَبرِ على المرض، وما أعدَّه اللهُ للصابرين عامةً من أجر، ليكون بديلاً عن هذه المجلات التي لا تأمرُ بمعروفٍ ولا تحضُّ على فضيلة، بل هي في أغلبها دعوةٌ للمنكرِ وتزيينٌ للرذيلة.

٢- إن كثيراً من المرضى نسيَ أن المرضَ ابتلاءٌ منَ اللهِ تعالى، وأنَّ الإنسانَ خُلقَ في هذه الدنيا للابتلاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك].

والابتلاءُ يكونُ بالسَّراءِ والضراءِ، وبالحسناتِ والسيئاتِ وبالخيرِ والشر، وبالغنى والفقر.

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ [الفجر].

فمن ابتُلِيَ في هذه الدنيا بالسراءِ فعليه أن يشكرَ، كما فعلَ نبيُّ اللهِ سليمانُ عليه السلام، لَّما أنعمَ اللهُ عليهِ بتسخيرِ الجنِّ والإنس والطير له، فقال تعالى على لسانه: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾ [النمل:٤٠].

ولقد شكر سليمانُ عليه السلام فأثنى عليه ربُّه بقوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

وقال ﷺ حاضاً على الصبرِ في السراءِ والضراءِ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

٣- رأيتُ أنْ أبَشِّر الصابرين عامةً والمرضى خاصةً بما لهم عندَ اللهِ منَ الأجرِ العظيمِ ليدفَعهم ذلك للصبرِ على البلاءِ مهما عَظُمَ.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

فالله عز وجل يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر].

٤- رأيت كثيراً من الجماعاتِ الإسلاميةِ اليومَ يستعجلونَ النصرَ، ولا يصبرون، فباؤوا بالهزيمةِ والخسرانِ المبين، ولو أنهم صبروا لكان خيراً لهم.

فاللهُ عز وجل يقولُ لرسولِهِ ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فأمرَ اللهُ رسوله بالصبر، ونهاه عن الاستعجال.

قال ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[٢].

وقديماً قيل: (من تَعَجَّلَ الشيءَ قبل أوانه عوقبَ بحرمانه).

فبالصبرِ ننتصرُ وبالاستعجالِ ننهزمُ.

فاللهُ سبحانَه جعلَ الصبرَ جواداً لا يكبو، وصارِماً لا ينبو، وجُنْداً غالباً لا يُهزم، وحِصناً حصيناً لا يُهدم ولا يُثْلَم، فهو والنَّصر أَخَوانِ شقيقان.

فالنصرُ مع الصَّبرِ، والفَرَجُ مع الكَرب، والعُسْرُ مع اليُسرِ، وهو أَنصرُ لصاحبِه من الرجالِ بلا عُدَّةٍ ولا عَدَد، وَمحِلُّه مِن الظَّفرِ كمَحِلْ الرأسِ من الجَسَدِ.

ولقد ضَمِنَ اللهُ سبحانه للصابرين في محكم الكتابِ أنَّهُ يُوفيهم أجرَهم بغير حساب، واخبرَهم أَنَّهُ معهم بهدايتِهِ ونصرِه العزيزِ وفتحِه المبين؛ فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]؛ فظَفِر الصَّابرون بهذه المعِيَّةِ بخيرِ الدنيا والآخرة، وفازوا بها بنعمه الباطنةِ والظاهرةِ.

وجعل سبحانه الإمامَةَ في الدين منوطةً بالصَّبْرِ واليَقينِ؛ فقال تعالى -وبقوله اهتدى المهتدون-: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

---

٢ **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، والحاكم (٦٣٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].

وأخْبَرَ أنّ الصبرَ خيرٌ لأهلِه مؤكداً باليمن؛ فقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل].

وأخبر أن مع الصَّبرِ والتّقوى لا يضرُّ كيدُ العدوِّ ولو كان ذا تسليط؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران].

وأخبر عن نبيِّه يوسُفَ الصِّدِّيق أن صَبْرَهُ وتقواه وصَّلاه إلى مَحِلِّ العزِّ والتَّمكين؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

وعلَّقَ الفلاحَ بالصَّبرِ والتقوى، فَعَقَل ذلك عنه المؤمنون؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

وأخبر عن محبَّته لأهلِه وفي ذلك أعظمُ ترغيبٍ للراغبين؛ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

ولقد بَشَّر الصابرين بثلاثٍ، كلٌّ منها خيرٌ مما عليه أهلُ الدنيا يتحاسدون؛ فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وأَوصى عبادَه بالاستعانةِ بالصبرِ والصلاة على نوائِبِ الدنيا والدِّينِ؛ فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

وجعلَ الفوزَ بالجنَّةِ والنَّجاةَ من النار لا يَحظى به الا الصابرون؛ فقال تعالى: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

وأخبر أنَّ الرَّغبَةَ في ثوابه والإعراضَ عن الدنيا وزينتها لا ينالُها ألا أو لو الصبر المؤمنون؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص].

وأخبر تعالى أن دَفْعَ السَّيئةِ بالتي هيَ أَحسنُ تجعلُ المسيءَ كأنَّه وليٌّ حميمٌ فقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلت].

وأن هذه الخصلة ما يُلقاها إلا الذين صَبَروا، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم.

وأخبر سبحانه مؤكدا خبراً مُؤكَّداً بالقَسَم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

وَقَسَّم خلقَه قسمين: أصحابَ ميمنةٍ وأصحابَ مشأمة، وخصَّ أصحابَ الميمنةِ أهلَ التواصي بالصَّبرِ والمرحمةِ، وخصَّ بالانتفاع بآياتهِ أهلَ الصَّبرِ وأهلَ الشُّكرِ تمييزاً لهم بهذا الحظِّ الموفورِ؛ فقال في أربعِ آياتٍ من كتابه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ [لقمان].

وعلَّقَ المغفرةَ والأجرَ بالعملِ الصالحِ والصَبْرِ وذلك على من يسّرَه عليه يسير فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود].

وأخبر أن الصَّبرَ والمغفرةَ من العَزائم التي تجارةُ أربابِها لا تبورُ؛ فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

وأمرَ رسولَه بالصبْر لحُكمِه، وأخبرَ أن صبرَه انما هو بهِ، وبذلك جميعُ المصائبِ تهون؛ فقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطور:٤٨]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

والصبرُ آخِيَةُ المؤمنِ التى يجولُ ثم يرجعُ إليها، وساقُ إيمانِه الذى اعتمادَ له الا عليها؛ فلا ايمانَ لمن لا صبرَ له، وان كان فإيمانٌ قليلٌ في غاية الضَّعفِ، وصاحبُه يَعبُدُ اللهَ على حَرفٍ؛ فإن أصابَه خيرٌ اطمأنَّ بهِ، وان أصابته فتنةٌ انقلبَ على وَجهِهِ خَسِر الدنيا والآخرَةَ، ولم يحْظَ منهما الا بالصفقةِ الخاسرة.

فخير عيشٍ أدركه السعداءُ: بصبرِهم، وترقوا إلى أعلى المنازلِ: بشكرهم، فساروا بين جناحى الصَبْرِ والشُّكرِ إلى جناتِ النَّعيمِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ واله ذو الفضلِ العظيم(٣).

---

(٣) انظر كتاب «عدة الصابرين» لابن القيم (ص٢٤-٢٧).

فانطلاقاً من قوله ﷺ: «الدين النصيحة» وتحقيقاً لهذه الأهدافِ استعنتُ بالله وقمتُ بتأليف هذا الكتاب وسميته.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ويتألفُ من مقدمةٍ وثمانيةِ أبوابٍ وخاتمةٍ على النحوِ التالي:

• المقدِّمةُ.

• الباب الأول: الصبر.

ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الصبرُ لغةً واصطلاحاً.

الفصل الثاني: الفرقُ بين الصبرِ والتصبُّرِ والاصطبارِ والمصابرة.

الفصل الثالث: أقسامُ الصبر.

• الباب الثاني: فضلُ الصبر.

ويشملُ ثلاثةَ فصول:

الفصلُ الأول: ما وردَ في فضلِ الصبرِ في الكتابِ العزيز.

الفصلُ الثاني: ما وردَ في فضلِ الصبرِ في السنةِ النبوية.

الفصلُ الثالث: ما وردَ في فضلِ الصبرِ عن الصحابةِ ومَنْ بعدهم.

• الباب الثالث: الصبرُ على المرض.

ويشملُ ثلاثةَ فصول:

الفصلُ الأول: حقُّ المريض على المسلمين.

الفصل الثاني: رحمتُه ﷺ بالمرضى.

الفصل الثالث: مواقفُ إيمانية في الصبر على المرضِ.

• الباب الرابع: الصبرُ فراقِ الأحبة.

ويشملُ أربعة فصول:

الفصلُ الأولُ: الصبرُ على فراقِ الحبيب.

الفصلُ الثاني: الصبرُ على فراقِ الولد.

الفصل الثالث: الصبرُ على موت الولدِ.

الفصل الرابع: الصبرُ على موت الزوج.

• الباب الخامس: الصبرُ على الفتن.

ويشملُ أربعة فصول:

الفصل الأول: الصبرُ على فتنةِ الدنيا.

الفصل الثاني: الصبرُ على فتنةِ المال.

الفصل الثالث: الصبرُ على أذى الناس.

الفصل الرابع: الأسبابُ التي تعينُ على الصبرِ على فتنِ الشهوات.

• الباب السادس: الإيمانُ: صَبرٌ وشكرٌ.

الباب السابع: تبشيرُه ﷺ للصابرينَ بسعادة الدنيا والآخرة.

الباب الثامن: تبشيرُه ﷺ للشاكرين بسعادةِ الدنيا والآخرة.

• خاتمة فيها فوائد.

وبعد: فهذا ما فتح اللهُ به علي -فما كان فيه من خيرٍ وصوابٍ فمن الله وحدَه- فلهُ الحمدُ، وما كان فيه من خطأٍ وزللٍ فمن نفسي والشيطانِ، وأنا تائبٌ منه فاستغفرُ اللهَ، فمن تاب إلى الله تابَ عليه، ومن استغفره غفرَ له، فإنه سبحانه هو القائل: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود].

وهو سبحانه القائل: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ [فُصِّلَت:٤٦].

والقائلُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأعراف].

فنسأله سبحانه أن يجعلَ عمَلَنا هذا صالحاً، وأن يُثقل به موازيننا يـومَ القيامـة، يـومَ لا ينفـعُ مـالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وآخرُ دعوانا إنِ الحمد لله رب العالمين.

وكتبــه

أبـــــــــــــــــــــــو إســـــــــــــــــــــــلام

صـــالح بـــن طـــه عبـــد الواحـــد إمـــام وخطيـــب مـــسجد إبـــراهيم الحـــاج حـــسن عمان - الأردن

١٨ ذو الحجة ١٤٣٤ هـ

الموافق ٢٣ تشرين أول ٢٠١٣م

الباب الأول: الصبر

ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الصبر لغة واصطلاحاً.

الفصل الثاني: الفرقُ بين الصبرِ والتصبُّرِ والاصطبارِ والمصابرة.

الفصل الثالث: أقسامُ الصبر.

الصبرُ لغةً واصطلاحاً

الصبرُ لغةً:

أصلُ هذهِ الكلمةِ هو: المنعُ والحبسُ، فالصبرُ: حبسُ النفسِ عن الجزعِ، واللسانِ عن التَّشَكي، والجوارحِ عن لطمِ الخدودِ، وشقِّ الثياَ، ونحوِها.

وقيلَ: أصلُ الكلمةِ من الشدةِ والقوةِ، ومنه: الصبرُ للدواءِ المعروفِ، لشدةِ مرارتِهِ وكراهتِه.

وقيلَ: هو مأخوذٌ من الجمعِ والضمِّ، فالصابرُ يجمعُ نفسَه ويَضمُّها عن الهلعِ والجزعِ، ومنه: صُبْرَةُ الطعامِ.

والتحقيقُ: أنَّ في الصبرِ المعانيَ الثلاثةَ: المنعَ، والشدةَ، والضمَّ.

والصبرُ اصطلاحاً:

هو خُلُقٌ فاضلٌ من أخلاقِ النفسِ، يُمتنَعُ به من فعلِ ما لا يَحسُنُ، ولا يَجمُلُ، وهو قوةٌ من قوىَ النفسِ التي بها صلاحُ شأنِها، وقَوامُ أمرِها.

وقيلَ: هو تجرُّعُ المرارةِ من غيرِ تَعَبُّسٍ.

وقيل: هو تركُ الشكوى من ألمِ البلوى لغيرِ اللهِ إلا للهِ؛ لأن اللهَ تعالى أثنى على أيوبَ عليه السلام بالصبرِ بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص:٤٤].

مع دعائِه في دفعِ الضُّرِّ عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

فعُلِمَ أن العبدَ إذا دعا اللهَ تعالى في كشفِ الضُّرِّ لا يقدَحُ في صبره.

وقيل: هو الثباتُ على أحكام الكتابِ والسنة.

وقيل: هو الوقوفُ مع البلاءِ بحسنِ الأدبِ(٤).

وقيلَ: الصبرُ :شجاعةُ النفسِ.

---

(٤) انظر: «نضرةَ النعيم» (٦/ ٢٤٤٢)، و«مدارج السالكين» (١/ ١٦٢، ١٦٣).

ومن ها هنا أخذِ القائلُ قولَه: (الشجاعَةُ صبرُ ساعة).

وقيل: الصبرُ: ثباتُ القلبِ عند مواردِ الاضطرابِ.

والصبرُ والجزعُ ضِدَّان، ولهذا يقاتلُ أحدُهما بالآخر؛ قال تعالى عن أهلِ النـارِ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾ [إبراهيم].

والجزَعُ قرينُ العجزِ وشقيقُه، والصبرُ قرينُ الكَيْسِ ومادتُه؛ فلو سُئِلَ الجزعُ: مَن أبوكَ؟ لقال: العجزُ، ولو سُئِلَ الكيْسُ: مَن أبوك؟ لقال: الصبرُ.

والنفسُ مطيةُ العبد التي يسيرُ عليها إلى الجنةِ أو النارِ، والصبرُ لها بمنزلةِ الخِطام والزمامَ للمطية، فـإن لم يكن للمطيةِ خطامٌ ولا زمامٌ شردت في كُلِّ مذهبٍ.

فرَحمَ اللهُ امرءاً جعلَ لنفسِه خطاماً وزماماً؛ فقادها بخطامشها إلى طاعـةِ اللهِ، وصرفهـا بزمامِهـا عـن معاصي اللهِ، فإنَّ الصبرَ عن محارمِ اللهِ أيسرُ من الصبرِ على عذابه.

والنفسُ فيها قوتان: قوةُ الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقةُ الصبرِ أن يجعلَ قوة الإقدامِ مـصروفةً إلى مـا ينفعُه، ولا صبرَ له عن داعي هواه إلى ارتكابِ ما نُهِيَ عنه.

ومنهم من تكونُ قوةُ صبرِه على المخالفاتِ أقوى من صبرِه على مشقةِ الطاعات. ومنهم من لا صبرَ له على هذا ولا على ذاك.

وأفضلُ الناسِ أصبرُهم على النوعين، فكثيرٌ من الناس يصبرُ على مُكابدَةِ قيامِ الليـل في الحـرِّ والـبردِ، وعلى مشقةِ الصيامَ، ولا يصبرُ على نظرةٍ محرمة.

وكثيرٌ من الناسِ يصبرُ عن النظر، وعن الالتفاتِ إلى الصورِ المحرمةِ، ولا صبرَ له على الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهادِ الكفار والمنافقين؛ بل هو أضعفُ شيءٍ عن هذا وأعجزُه، وأكثرُهم لا صـبرَ لـه على واحدٍ من الأمرين، وأقلُّهم أصبرُهم في الموضعين[٥].

(٥) «عدة الصابرين» لابن القيم (ص٤٠، ٤١).

الفـــــــــــــــــــــصل الثـــــــــــــــــــــــــــــاني

الفرقُ بينَ الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة.

الفرقُ بينَ هذه الأسماءِ بحسبِ حال العبدِ في نفسِه، وحالِه مع غيرِه، فإن حَبَسَ نفسَه ومنعَها عن إجابةِ داعي ما لايحسُنُ؛ إن كان خلقاً له ومَلَكَةً سُمي صبراً، وإن كان بتكلفٍ وتمرنٍ وتجرُّعٍ لمرارتِه سمي تصبُّراً.

وإذا تكلفه العبدُ واستدعاهُ صار سجيَّة له؛ كما في الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٦).

وكذلك العبدُ يتكلفُ التعففَ حتى يصيرَ التعففُ له سجيةً، كذلك سائرُ الإخلاقِ.

وأما الاصطبارُ فهو أبلغُ من التصبر؛ فإنه افتعالٌ للصبرِ بمنزلةِ الاكتسابِ، فلا يزالُ التصبرُ يتكررُ حتى يصيرَ اصطباراً.

وأما المصابرةُ فهي مقاومةُ الخصمِ في ميدانِ الصبرِ؛ فإنها مفاعَلَةٌ تستدعي وقوعَها بين اثنين كالمشاتمةِ والمضاربةِ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].

فَأَمَرهم بالصبرِ وهو على حالِ الصابرِ في نفسِه، والمصابرةِ وهي حالُه في الصبرِ مع خصمِه، والمرابطةِ وهي الثباتُ واللزومُ والإقامةُ على الصبرُ والمصابرةَ، فقد يصبرُ العبدُ ولا يصابرُ ولا يرابطُ، وقد يصبرُ ويصابرُ ويرابطُ من غيرِ تعبدٍ بالتقوى، فأخبر سبحانه أن مَلاكَ ذلكَ كلِّه: التقوى، وأن الفلاحَ موقوفٌ عليها، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات]، فالمرابطةُ كما أنها لزومُ الثغر الذي يُخافُ هجومٌ منه في الظاهرِ، فهي لزومُ ثغرِ القلبِ؛ لئلا يدخلَ منه الهوى والشيطانُ، فيزيلَه عن مملكته(٧).

---

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري.

(٧) «عدة الصابرين» لابن القيم (٤٤، ٤٥).

الفـــــــــــــصل الثـــــــــــــــا لـــــــــــــــث

أقسام الصبر

أقسامُ الصبر باعتبار مُتَعَلَّقِه:

يقول ابنُ القيم رحمه الله: الصبرُ باعتبار مُتَعَلَّقِه ثلاثةُ أقسام: صبرُ الأوامـرِ والطاعـاتِ حتـى يؤديهـا؛ وصبرٌ عن المناهي والمخالفاتِ حتى لا يقعَ فها، وصبرٌ على الأقدارِ والأقضيةِ حتى لا يتسخَّطها(٨).

أقسامُ الصبر باعتبار تعلق الأحاكِ الخمسة به:

يقولُ ابن القيم رحمه الله: الصبرُ ينقسمُ بهـذا الاعتبـارِ إلى: واجـبٍ، ومنـدوبٍ، ومحظـورٍ، ومكـروهٍ، ومباحٍ.

فالصبرُ الواجبُ ثلاثةُ أنواع:

أحدها: الصبرُ عن المحرمات.

والثاني: الصبرُ على أداء الواجباتِ.

والثالث: الصبرُ على المصائب التى لا صنعَ للعبدِ فيها كالأمراضِ والفقرِ وغيرها.

وأما الصبرُ المندوبُ فهوَ: الصبرُ عن المكروهاتِ، والصبرُ على المستحبات، والصبرُ على مقابلةِ الجانى بمثل ما فعل.

وأما الصبرُ المحظورُ فأنواعٌ:

أحدها: الصبرُ عللا الطعامِ والشرابِ حتى يموتَ، وكذلك الصبرُ عن الـمَيْتَةِ، والدمِ، ولحمِ الخنزيرِ، عند المخمصةِ -الجوعِ الشديدِ- حرامٌ إذا خاف بتركه الموت.

قال طاوسُ وبعده الامامُ أحمد: (مَنِ اضْطُرَّ إِلَى الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ فَلَـمْ يَأْكُـلْ وَلَمْ يَـشْرَبْ حَتَّـى يَمُوتَ دَخَلَ النَّارَ)(٩) .

وثانيهما: صبرُ الإنسانِ على ما يقصدُ هلاكَهُ من سبعٍ وحيَّاتٍ أو حريق المسلمين؛ فإنـه مبـاحٌ لـه، بـل يُستَحبُّ كما دلت عليه النصوصُ الكثيرة.

---

(٨) «عدة الصابرين» (ص٥٥).

(٩) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٣٤٤).

فقد سُئِل النبيُّ ﷺ عن هذه المسألةِ بعينها فقال: «كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»(١٠).

وفي لفظ: «**كُنْ عَبْدَ الله الْـمَقْتُولَ، لاَ تَكُنْ عَبْدَ الله الْقَاتِلَ**»(١١).

وفي لفظ: «**يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١٢).

وفي لفظ: «**فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ**»(١٣).

وقد حكى اللهُ استسلامَ خيرِ ابْنَيْ آدمَ، وأثنى عليه بذلك، وهذا بخلافِ قتلِ الكافرِ، فإنه يجبُ عليه الدفعَ عن نفسه، لأنَّ من مقصودِ الجهادِ أن يدفعَ عن نفسِه وعن المسلمين.

وأما الصبرُ المكروهُ: فله امثلةٌ:

أحدها: أن يصبرَ عن الطعامِ والشرابِ واللُّبسِ وجماعِ أهلِه حتى يتضررَ بذلك بدنُه.

الثاني: صبرُه عن جماعِ زوجتِه إذا احتاجَت الى ذلك ولم يتضررْ به.

الثالث: صبرُه على المكروه.

الرابع: صبرُه عن فعلِ المستحبِ.

وأما الصبرُ المباحُ فهو: الصبرُ عن كلِّ فعلٍ مستوي الطرفينِ، خُيِّرَ بينَ فعله وتركه والصبر عليه .

وبالجملة فالصبرُ على الواجبِ واجبٌ، وعن الواجب حرامٌ، والصبر عن الحرام واجبٌ وعليه حرامٌ، والصبرُ على المستحب مستحبٌّ وعنه مكروه.

والصبرُ عن المكروهِ مستحبٌّ وعليه مكروهٌ، والصبرُ عن المباحِ مباحٌ، والله أعلم(١٤) .

---

(١٠) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، وأحمد (٤/ ٤١٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥٦٣)، [«صحيح الجامع»(٢٠٤٩)].

(١١) **صحيح** : عبد الرزاق (١٨٥٧٨) ، وأحمد (٥/ ١١٠) ، والدارقطنى (٣/ ١٣٢) ، والطبرانى (٤/ ٥٩ ، رقم (٣٦٢٩)). وأبو يعلى (٧٢١٥) ، [«إرواء الغليل» (٨/ ١٠٠)].

(١٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٧).

(١٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨)، وأحمد (٥/ ١٤٩)، وابن حبان (٥٩٦٠)، والبزار (٣٩٢٨)، [«صحيح الجامع» (٧٨١٩)].

(١٤) «عدة الصابرين» لابن القيم.

الباب الثاني: فضلُ الصبر

ويشملُ ثلاثةَ فصول:

الفصلُ الأول: ما وردَ في فضلِ الصبرِ في الكتابِ العزيز.

الفصلُ الثاني: ما وردَ في فضلِ الصبرِ في السنةِ النبوية.

الفصلُ الثالث: ما وردَ في فضلِ الصبرِ عن الصحابةِ ومَنْ بعدهم.

ما وردَ في فضلِ الصبرِ في الكتابِ العزيز

قالَ الإمامُ أحمدُ رحمه اللهُ: ذكرَ اللهُ سُبحانَه الصبرَ في القرآنِ في تسعين موضعاً. انتهى.

ونحن نذكُرُ الأنواعَ التي سيق فيها الصَّبْرَ، وهي عدةُ أنواع:

أحدها: الأمر به؛ كقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧]، ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور:٤٨].

الثاني: النهيُّ عمَّا يُضادُّه؛ كقوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ [آل عمران:١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨]. وبالجملةِ؛ فكلُّ ما نُهِيَ عنه؛ فإنه يضادُّ الصبرَ المأمور به.

الثالث: تعليقُ الفلاح به، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران]؛ فَعَلَّق الفلاحَ بمجموعِ هذه الأمور.

الرابع: الإخبارُ عن مضاعفةِ أجرِ الصابرين على غيره؛ كقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص:٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمر].

قال سليمانُ بنُ القاسمِ: (كلُّ عملٍ يُعرفُ ثوابُه إلا الصبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمر]، قال: (كالماء المنهمر).

الخامس: تعليقُ الإمامةِ في الدين به وباليقين، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]؛ فبالصبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّين.

السادس: ظَفرُهم بمعيَّةِ الله سبحانه لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]. قال أبو علي الدقاق: (فاز الصابرون بعزِّ الدارَين؛ لأنهم نالوا من الله معيَّته).

السابع: أنه جمعَ للصابرين ثلاثةَ أمورٍ لم يجمعْها لغيرِهم، وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال بعض السلف -وقد عُزيَ على مصيبةٍ نالته- فقال: (ما لي لا أصبرُ وقد وعدني اللهُ على الصبرِ ثلاثَ خصالٍ، كلُّ خصلةٍ منها خيرٌ من الدنيا وما عليها).

الثامن: أنه سبحانه جعلَ الصبرَ عوناً وَعُدَّةً، وأمرَ بالاستعانةِ به؛ فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]، فمن لا صبرَ له لا عونَ له.

التاسع: أنه سبحانه عَلَّق النَصْرَ بالصَبرِ والتَّقوى؛ فقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران]، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»(١٥).

العاشر: أنه سبحانه جعلَ الصبرَ والتقوى جُنَّةً عظيمةً من كيدِ العدوِّ ومكرِه، فما استجن العبدُ من ذلك جُنَّةً أعظم منهما، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران].

الحادي عشر: أنه سبحانه أخبرَ أن ملائكتَه تسلِّم عليهم في الجنَّةِ؛ كما قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد].

الثاني عشر: أنه سبحانه أباحَ لهم أن يعاقِبوا على ما عوقبوا به، ثم أقسم قَسَماً مؤكَّداً غايةَ التأكيدِ أن صبرَهم خيرٌ لهم؛ فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل]. فتأملْ هذا التأكيدَ بالقسمِ المدلولِ عليه بالواو ثم باللامِ بعده ثم باللام التي في الجواب.

الثالث عشر: أنه سبحانه رتَّبَ المغرفةَ والأجرَ الكبيرَ على الصبرِ والعملِ الصالحِ؛ فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١١﴾ [هود]. وهؤلاء ثَنِيَّةُ اللهِ من نوعِ الإنسانِ المذمومِ الموصوفِ باليأسِ والكفرِ عند المصيبةِ، والفرحِ والفخرِ عند النعمَةِ، ولا خلاصَ من هذا الذَّمِّ إلا بالصبرِ والعملِ الصالحِ، كما لا تُنالُ المغفرةُ والأجرُ الكبيرُ إلا بهما.

الرابع عشر: أنه سبحانَه جعلَ الصَبْرَ على المصائِب من عَزْمِ الأمورِ؛ أي: مما يُعزَم من الأمور التي إنما يُعزم على أجَلِّها وأشرفِها؛ فقالَ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى]، وقال لقمان

---

(١٥) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، والحاكم (٦٣٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢)].

لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان].

الخامس عشر: أنه سبحانه وعدَ المؤمنين بالنصرِ والظَفَر، وهي كلمتُه التي سبقت لهم وهي الكلمةُ الحسنى وأخبر أنّه إنّما أنالهُم ذلك بالصبرِ، فقال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾ [الأعراف:١٣٧].

السادس عشر: أنه سبحانه عَلَّق محبته بالصَبرِ، وجعلَها لأهلِه؛ فقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ [آل عمران].

السابع عشر: أنه سبحانه أخبرَ عن خصالِ الخيرِ أنه لا يُلَقَّاها إلا الصابرون في موضعين من كتابه: في سورة القصص في قصة قارون، وأن الذين أوتوا العلمَ قالوا للذين تمنَّوا مثلَ ما أوتي: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ ﴾ [القصص]. وفي سورة حم السجدة، حيث أمر العبدَ أن يدفعَ بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوةً كأنه حبيبٌ قريبٌ ثم قال: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ ﴾ [فُصِّلَت].

الثامن عشر: أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياتِه ويتَّعِظُ بها الصَّبّارُ الشَّكُور؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥ ﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى في لقمان: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٣١ ﴾ [لقمان].

وقال في قصة سبأ: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ ﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ ﴾ [الشورى].

فهذه أربعُ مواضعَ في القرآنِ تدلُّ على أن آياتِ الربِّ إنما ينتفعُ بها أهلُ الصبرِ والشُّكرِ.

التاسع عشر: أنه أثنى على عبدِه أيوبَ بأحسنِ الثناءِ على صبرِه؛ فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص]؛ فأطلق عليه نعمَ العبدُ بكونِه وجدَه صابراً، وهذا يدلُّ على أن من لم يصبر إذا ابتُلي فإنَّه بِئسَ العَبدُ.

العشرون: أنه سبحانه حَكَم بالخسرانِ حُكْماً عامَّاً على كلِّ من لم يؤمِن، ولم يكن مِن أهلِ الحقِّ والصَبْرِ، وهذا يدلُّ على أنه لا رابحَ سواهم؛ فقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

ولهذا قال الشافعي: (لو فكَّرَ الناسُ كلُّهم في هذه الآيةِ لوسعتهم). وذلك أن العبدَ كمالُه في تكميلِ قُوَّتيْهِ: قُوَّةَ العِلْمِ وقوةَ العمل، وهما الإيمانُ والعملُ الصالح. وكما هو محتاجٌ إلى تكميلِ نفسِه؛ فهو محتاجٌ إلى تكميلِ غيرِه، وهو التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وآخِيَةُ ذلك وقاعدتُه وساقُه الذي يقومُ عليه إنما هو الصبرُ.

الحادي والعشرون: أنه سبحانه خَصَّ أهلَ الميمنةِ بأنهم أهلُ الصبرِ والمرحمةِ الذين قامت بهم هاتان الخصلتان، ووَصَّوا بهما غيرَهم؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد]، وهذا حصرٌ لأصحابِ الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان، والناسُ بالنسبة إليهما أربعةُ أقسامٍ، هؤلاء خيرُ الأقسامِ، وشرُّهم من لا صبرَ له ولا رحمةٌ فيه، ويليه من له صبر ولا رحمةَ عنده، ويليه القسمُ الرابعُ وهو من له رحمةٌ ورقَّةٌ ولكن لا صبرَ له.

الثاني والعشرون: أنه سبحانه قَرَن الصبرَ بأركانِ الإسلامِ ومقاماتِ الإيمانِ كلِّها: فقرنه بالصلاة؛ كقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥]. وقرنه بالأعمالِ الصالحةِ عموماً؛ كقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود:١١]. وجعله قرينَ التقوى، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف:٩٠].

وجعله قرينَ الشكر؛ كقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم]، وجعله قرين الرحمة؛ كقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر]، وجعله قرين الرحمة؛ كقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد]، وجعله قرين اليقين، كقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]، وجعله قرينَ الصدق، كقوله: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾

[الأحزاب:٣٥]، وجعله سببَ محبتِه ومعيتِه ونـصرِه وعونِـه وحـسنِ جزائِـه، ويكفـي بعـضُ ذلـكَ شرفـاً وفضلاً، والله أعلم.

الفصلُ الثاني
ما وردَ في فضلِ الصبرِ في السنةِ النبوية

١- في «الصحيحين» من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ﵁: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»(١٦).

وقوله: (الصبرُ عند الصدمَة الأولى)، مثلُ قولِه: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(١٧)؛ فإن مفاجآتِ المصيبةِ بغتةً لها روعَةٌ تزعزعُ القلبَ وتزعجُه بصدمِها، فإنْ صَبَرَ للصدمَةِ الأولى انكسرت حِدَّتُها، وضَعفت قوتُها؛ فهان عليه استدامةُ الصبر.

وأيضاً؛ فإن المصيبةَ تَرِدُ على القلبِ وهو غيرُ مُوَطَّن لها فتزعجُهُ، وهي الصدمةُ الأولى، وأما إذا وردت عليه بعد ضلك فقد توطَّنَ لها وَعلِم أنه لا بدَّ له منها، فيصيرُ صبرُه شبيهَ الاضطرار، وهذه المرأةُ لّما علمت أن جزَعها لا يُجدي عليها شيئاً جاءت تعتذرُ إلى النبيِّ ﷺ؛ كأنها تقولُ له: قد صبرت، فأخبرها أن الصبرَ إنما هو عند الصدمَةِ الأولى.

قلت: وفي الحديثِ انواعٌ من العلم:

أحدُها: وجوبُ الصبرِ على المصائبِ، وأنه من التَّقوى التي أُمِر العبدُ بها.

الثاني: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، وأنَّ شُكْرَ المصيبةِ وشدتّها لا يسقطهُ عن الآمر الناهي.

الثالث: تكرارُ الأمرِ والنهيِ مرةً بعد مرة حتى يعزوَ الأمرَ إلى رَبِّه.

الرابع: احتج به على جوازِ زيارةِ النساء للقبور؛ فإنه ﷺ لم ينكِرْ عليها الزيارةَ وإنما أمرَها بالصبرِ، ولو كانت الزيارةُ حراماً لبينَ لها حكمَها.

٢- وفي «صحيح مسلم»: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**». قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؛ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ

---

(١٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

(١٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**»(١٨).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي، فَآجِرْنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»(١٩)

٣- وفي «جامع الترمذي»، و«مسند أحمد»، و«صحيح ابن حبان»؛ عن أبي موسى الأشعري قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**»(٢٠).

٤- وفي «صحيح البخاري» من حديثِ أنس أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ(٢١) .

وعند «الترمذي» في الحديث: «**إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلاَّ الجَنَّةَ**»(٢٢).

وفي «الترمذي» أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسولُ الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ**»(٢٣) .

٥- وفي «سنن النسائي» من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيِّهِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ**»(٢٤).

---

(١٨) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٨).

١٩ صحيح : رواه أبو داود (٣١١٩)، والترمذي (٣٥١١)، وابن ماجه (١٥٩٨)، وأحمد (٤/ ٢٧)، [« صحيح أبي داود » (٢٦٧٦)].

(٢٠) **حسن**: رواه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، وابن حبان (٢٩٤٨)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥)].

(٢١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١١٩)، والترمذي (٣٥١١)، وابن ماجه (١٥٩٨)، وأحمد (٤/ ٢٧)، [«صحيح أبي داود» (٢٦٧٦)].

(٢٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠٠)، وأبو يعلى (٤٢٣٧)، [«صحيح الجامع» (١٩٠٤)].

(٢٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٧)، والدارمي (٢٧٩٥)، والبزار (٩١٨٤)، [«صحيح الترغيب» (٨١٤٠)].

(٢٤) **حسن**: رواه النسائي (١٨٧١)، [«صحيح الجامع» (١٨٥١)].

وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ**»[٢٥].

٦- وفي «صحيحه» أيضاً عن عطَاء بْنُ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ؛ فَدَعَا لَهَا[٢٦].

وفي «الموطأ» عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ، فَقَالَ: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ، فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاؤُوهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ، وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ**»[٢٧].

٧- وفي «الصحيحن» أنَّ رسولَ الله ﷺ قَسّم مالاً؛ فقال بعضُ الناس: هذه قِسْمَةٌ ما أُريدَ بها وجهُ الله، فأخبِرَ بذلك رسولُ الله ﷺ فقال: «**رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[٢٨].

٨- وفي «الصحيحن» من حديثِ الزُّهْري عن عروةَ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**»[٢٩].

٩- و«فيهما» أيضاً من حديث أبي سعيدٍ وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى، وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[٣٠].

١٠- وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشةَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**»[٣١].

---

(٢٥) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٢٤).

(٢٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢٧) **حسن لغيره**: رواه مالك (١٦٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٧١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٣١)].

(٢٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢٩) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).

(٣٠) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤١) و(٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

١١- وفي «المسند» من حديثِ أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْـمُؤْمِنِ أَوِ الْـمُؤْمِنَةِ ، فِي جَسَدِهِ ، وَفِي مَالِهِ ، وَفِي وَلَدِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»(٣٢).

١٢- وفي «الصحيح» من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قلت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٣٣).

١٣- وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**». فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَجَلْ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**»(٣٤).

١٤- وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»(٣٥).

١٥- وفي بعض «المسانيد» مرفوعاً: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَمَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(٣٦).

١٦- ويُروى عن عائشة عنه قال: «**إِذَا اشْتَكَى الْـمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ اللهُ كَمَا يُخَلِّصُ الْكِيرُ خَبَثَ الْـحَدِيدِ**»(٣٧).

---

(٣١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٢).

(٣٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧) واللفظ له، وابن حبان (٢٩١٣)، والبزار (٧٩٩٨)، وأبو يعلى (٥٩١٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٤١٤)].

(٣٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٢)].

(٣٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١) واللفظ له.

(٣٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

٣٦ **حسن صحيح**: رواه أبو يعلى (٦٠٩٥)، وابن حبان (٢٩٠٨)، والحاكم (١٢٧٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٨)].

١٧- وفي «صحيح البخاري»: من حديث خبّاب بن الأرت قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(٣٨).

١٨-وفي «الصحيح» عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**» فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(٣٩).

١٩- وفي «سنن النسائي» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ الله ﷺ صَغِيرَةٌ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَقَضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: يَا أُمَّ أَيْمَنَ! أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ الله ﷺ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: مَا لِي لَا أَبْكِي وَرَسُولُ الله ﷺ يَبْكِي؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**»(٤٠).

٢٠- وفي «صحيح البخاري» من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه قال: اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الْغُلاَمُ؟ قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا

---

(٣٧) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٧)، وابن حبان (٢٩٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤١٢٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٥٧)].

(٣٨) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦١٢).

(٣٩) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

(٤٠) **صحيح**: رواه النسائي (١٨٤٣)، وابن هناد في «الزهد» (١٣٢٨)، [«صحيح سنن النسائي»].

كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ(٤١).

٢١- وفي «صحيح البخاري» من حديثِ عبدِ الله بن مسعودٍ ﵁: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهْوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»(٤٢).

٢٢- وفي «الموطأ» من حديث عبد الرحمنِ بن القاسم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لِيُعَزِّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَصَائِبِهِمُ، الْمُصِيبَةُ بِي**»(٤٣).

٢٣- وفي «الترمذي» من حديث يحيى بن وثَّاب عن شيخٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(٤٤).

٢٤- وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٤٥).

٢٥- وفي «جامع الترمذي» عنه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٤٦).

٢٦- وفي «صحيح مسلم» من حديث جابرِ بنِ عبدِ الله ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ تُزَفْزِفِينَ**(٤٧)؟» قَالَتِ: الْحُمَّى، لاَ بَارَكَ اللهُ فِيهَا. فَقَالَ: «**لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»(٤٨).

---

(٤١) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٠١).

(٤٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٧٧).

(٤٣) **صحيح**: رواه مالك (٥٥٩)، [«صحيح الجامع» (٥٤٥٩)].

(٤٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٢/ ٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٣٩)].

(٤٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري.

(٤٦) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٣٢٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٧)].

(٤٧) تزفزفين: ترعدين من البرد.

٢٧- وفي «المسند» وغيره عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَحْمُومٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي مِنْ فَوْقِ الْقَطِيفَةِ فَوَجَدْتُ حَرَارَةَ الْحُمَّى، فَقُلْتُ: مَا أَشَدَّ حُمَّاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**إِنَّا كَذَلِكَ مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ عَلَيْنَا الْوَجَعُ؛ لِيُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ**» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ : «**الأَنْبِيَاءُ**» قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلاَّ الْعَبَاءَ فَيَحْوِيهَا وَيَلْبَسُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْقُمْلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ الْقَمْلُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَطَاءِ إِلَيْكُمْ**»(٤٩).

٢٨- وفي «المسند» والنَّسائيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله! أَرَأَيْتَ هَذِهِ الأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا مَا لَنَا بِهَا؟ قَالَ: «**كَفَّارَاتٌ**»، فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ الله! وَإِنْ قَلَّتْ؟ قَالَ:«**شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا**» قَالَ: فَدَعَا أُبَيٌّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لاَ يُفَارِقَهُ الْوَعَكُ حَتَّى يَمُوتَ، فِي أَنْ لاَ يَشْغَلُهُ عَنْ حَجٍّ وَلاَ عُمْرَةٍ وَلاَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ، قَالَ: فَمَا مَسَّ رَجُلٌ جِلْدَهُ بَعْدَهَا إِلَّا وَجَدَ حَرَّهَا حَتَّى مَاتَ(٥٠).

وقال عبدُ الله بن عمرو: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ثُمَّ مَرِضَ قِيلَ لِلْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِهِ: اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذَا كَانَ طَلِيقًا حَتَّى أُطْلِقَهُ، أَوْ أَكْفِتَهُ إِلَيَّ**»(٥١). ناقةٌ طُلُق - بضم الطاء واللام- إذا حُلَّ عقالُها. ويقال: كَفَتَه إليه إذا ضَمَّه إليه.

ذكره ابن أبي الدنيا.

٢٩- وقال أبو هريرة وقد عادَ مريضاً فقال له: إن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الله عَزَّ وجل يقول: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ**»(٥٢) .

---

(٤٨) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٥).

(٤٩) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وأحمد (٣/ ٩٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٠)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١)، والحاكم (٧٨٤٨) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٤)]

(٥٠) **حسن صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٧٤٨٩)، وأحمد (٣/ ٢٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٠)، وأبو يعلى (٩٩٥)، وابن حبان (٢٩٢٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٣٣)].

(٥١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وعبد الرزاق (٢٠٣٠٨)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٢١)].

(٥٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٨٨)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، وأحمد (٢/ ٤٤٠)، وابن أبي شيبة (١٠٩٠٧)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٥٧)].

٣٠- وذُكر أيضاً عن أبي أمامة يرفعه: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُصْرَعُ صَرْعَةً مِنْ مَرضٍ إلا بَعَثَهُ اللهُ مِنْهَا طَاهِرًا**»(٥٣).

٣١- وذُكر عنه ﷺ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِ حِينَ يُصِيبُهُ الْوَعْكُ مَثَلُ حَدِيدَةٍ تَدْخُلُ النَّارَ؛ فَيَذْهَبُ خَبِيثُهَا، وَيَبْقَى طَيِّبُهَا**»(٥٤).

٣٢- وذكر أيضاً عنه مرفوعاً: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرِضَ أَوْحَى اللهُ إِلَى مَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي! إِذَا قَيَّدْتُ عَبْدِي بِقَيْدٍ مِنْ قُيُودِي، فَإِنْ أَقْبِضْهُ أَغْفِرْ لَهُ، وَإِنْ أَعَافِهِ فَجَسَدٌ مَغْفُورٌ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(٥٥).

٣٣- قالَ سعيدُ بن وهبٍ: دخلتُ مع سلمانَ الفارسيِّ على رجلٍ من كِنْدَة نعودُه، فقال سلمان: (إِنَّ الْـمُسْلِمَ يُبْتَلَى فيكونُ كفارةً لما مَضى له، ومُسْتَعتباً فيما بقي، وَإِن الْكَافِرَ يُبْتَلَى فَمَثَلُهُ مَثَلُ بَعِيرٍ أُطْلِقَ فَلَمْ يَدْرِ لِمَ أُطْلِقَ وَعُقِلَ فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عُقِلَ)(٥٦).

٣٤- خَرَجَ بعض الصحابة زَائِرًا لِرَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ، فَبَلَغَهُ شَكَاتُهُ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَائِدًا وَمُبَشِّرًا. قَالَ: كَيْفَ جَمَعْتَ هَذَا كُلَّهُ؟ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ زِيَارَتَكَ فَبَلَغَتْنِي شَكَاتُكَ فَكَانَتْ عِيَادَةً، وَأُبَشِّرُكَ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ، حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ**»(٥٧).

٣٥- (لَوْلَا مَصَائِبُ الدُّنْيَا قَدِمْنَا عَلَى اللهِ مَفَالِيسَ)(٥٨).

٣٦- وفي «المسند» قال ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٥٩).

---

(٥٣) **صحيح**: رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٣)، والروياني (١٢٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٨٥)، وتمام في «فوائده» (١٥٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٣٦)].

(٥٤) **حسن صحيح**: رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٤)، والروياني (١٥٦٤)، والبزار (٣٤٥٦)، والحاكم (١٢٨٨)، [«صحيح الجامع» (٢٣٧٠)].

(٥٥) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٠١)، والحاكم (٧٨٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٥)، [«صحيح الجامع» (١٦٧٣)].

(٥٦) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٤٥) واللفظ له، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٤٥).

(٥٧) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٢٧٢)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»(١٤١٦)، وأبو يعلى (٩٢٣)، [«محققو المسند»].

(٥٨) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٢١).

(٥٩) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

وفي لفظ: «**إن أمرَ المؤمن كلَّه عجيب، إن أصابته سراءُ شَكر فكان خيراً لـه وإن أصـابته ضراءُ فـصبرَ فكان خيراً له**»[٦٠].

---

(٦٠)

الفصلُ الثالث

ما وردَ في فضلِ الصبرِ عن الصحابةِ ومَنْ بعدهم

١- قال الإمام أحمد: حدثنا وكيعٌ عن مالكِ بن مِغْوَل عَنْ أَبِي السَّفَرِ قَالَ: (دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَوْمٌ يَعُودُونَهُ قَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ! أَلاَ نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا يَنْظُرُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ طَبِيبٌ، قِيلَ لَهُ: فَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ)(٦١).

٢- وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال: وَقَالَ عُمَرُ ﷺ: (وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ)(٦٢).

وقال أيضاً: (إن أفضل عيشٍ أدركناه بالصبرِ، ولو أن الصبرَ كان من الرجالِ كان كريماً)(٦٣).

٣- وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (ألا إن وَالصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، إِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ باد الْجَسَدُ، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبَرَ لَهُ)(٦٤).

وقال: (الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو)(٦٥).

٤- وقال الحسن: (الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عليه)(٦٦).

٥- وقال عمر بن عبد العزيز: (مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَعَاضَهُ مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ إِلَّا كَانَ مَا عَاضَهُ خَيْرًا مِمَّا انْتَزَعَ مِنْهُ)(٦٧).

٦- وقال ميمون بن مهران: (ما نال أحدٌ شيئاً من جسيم الخيرِ نبيٌّ فمن دونه إلا بالصَّبْرِ)(٦٨).

---

(٦١) رواه أحمد في «الزهد» (٥٨٤)، وهنّاد في «الزهد» (٣٨٢)، وابن أبي شيبة (٣٥٥٨١)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١/ ٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤).

(٦٢) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً باب الصبر على محارم الله، ووصله وكيع بن الجراح في الزهد (١٩٢)، وأحمد في الزهد(١١٧).

(٦٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١/ ٧).

(٦٤) رواه عبد الرزاق (٢١٠٣١)، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٨) واللفظ له، والبيهقي في «الشعب» (٩٢٦٧).

(٦٥) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥)، والماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص٣٥٩).

(٦٦) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٦).

(٦٧) ابن أبي شيبة (٣٥٢٤٢)، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٢٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٦٥).

(٦٨) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٠).

٧- وقال سليمان بن القاسم: (كلُّ عملٍ يعرفُ ثوابُه إلا الصبر، قال اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر] قال: كالماء المنهمر)(٦٩).

٨- وكان بعض العارفين في جيبه رقعةٌ يُخرجها كلَّ ساعة ويطالعها وكان فيها: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨](٧٠).

٩- وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر بعيرين، لم أبال أيهما ركبت)(٧١).

١٠- وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: (سحابةُ ثم تنقشع)(٧٢).

١١- وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤]: (لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤساء)(٧٣).

١٢- وقيل للأحنف بن قيس: ما الحِلم؟ قال: (إن تصبر على ما تكره قليلاً)(٧٤).

١٣- وقال وهب بن منبه قال: (مكتوب في الحكمة قصر الغايات ثلاث: قَصْرُ السَّفَهِ الغضبُ، وقصرُ الحِلمِ الراحةُ، وقصرُ الصبر الظَفَرَ)(٧٥).

١٤- وقَدِمَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكَ فَخَرَجَ بِرِجْلِهِ قُرْحَةُ الْأَكَلَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بِالْأَطِبَّاءِ، فَأَجْمَعَ عَلَى إِنْ لَمْ يَنْشُرُوهَا قَتَلَتْهُ، قَالَ: فَنَشَرُوهَا بِالْمِنْشَارِ، فَمَا حَرَّكَ عُضْوًا مِنْ عُضْوٍ وَصَبَرَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَدَمَ بِأَيْدِيهِمْ دَعَا بِهَا فَقَلَّبَهَا فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَالَّذِي حَمَلَنِي عَلَيْكِ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنِّي مَا مَشَيْتُ بِهَا إِلَى حَرَامٍ - أَوْ قَالَ مَعْصِيَةٍ، قَالَ الْوَلِيدُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ نَافِعِ بْنِ ذُؤَيْبٍ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ: عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ حَضَرَ عُرْوَةَ حِينَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَغُسِلَتْ، وَطُيِّبَتْ، وَلُفَّتْ فِي قُبْطِيَّةٍ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ(٧٦).

---

(٦٩) ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٢٠)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٦٠).

(٧٠) «الرسالة القشيرية» (١٨٦-١٨٧) بلفظ قريب، والغزالي في «إحياء علوم الدين» (٥/ ٤٠٥).

(٧١) «الرسالة القشيرية» (١٨٧).

(٧٢) «الرسالة القشيرية» (١٨٧).

(٧٣) «الرسالة القشيرية» (١٨٨).

(٧٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (ص٥٧).

(٧٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (ص٥٧).

(٧٦) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٠٦).

فلما قَدم عروة من عندِ الوليدِ قال: لا أدخلُ المدينَة، إنما أنا بها بين شامتٍ بِنَكْبَةٍ أو حاسدٍ بنعمة، فمضى إلى قصره بالعقيقِ، فأقام هناك، فلما دخل قصَره قال له عيسى بن طلحة: لا أنا لك ولا إنا لشأنيك، أرنا هذه المصيبةَ التي نعزيك عنها، فكشف له عن رُكبَتِه، فقال له عيسى: إنا والله ما كنّا نُعِدُّك للصِّراعِ، قد أبقى اللهُ أكبر؛ عقلَك ولسانَك وسمعك وبصرَك ويَدَيْك وإحدى رجليك، فقال له: يا عيسى! ما عزّاني أحدٌ بمثل ما عزيتني(٧٧).

لما قطعت رِجل عروة قيل له: لو سقيناكَ شيئاً حتى لا تشعرَ بالوجَعِ. قال: إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارضُ أمره؟(٧٨).

١٥- وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا سلام قال: سمعت قتادة يقول: قيل للقمان: أي الناس أصبر - أو قال خير -؟ قال: صبر لا يتبعُه أذى، قيل: فأيُّ الناس أعلمُ؟ قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه، قال: فأيُّ الناسِ خير؟ قال: الغني، قيل: الغني من المال؟ قال: لا، ولكن الغني الذي إذا التمس عنده خير وجد، وإلا أعفى الناس من شرِّهِ(٧٩). -هذا من أبي معاذ-

وهذا من الكتاب

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا سلام قال: سمعت قتادة يقول: (قال لقمانُ وسأله رجل: أيُّ شيء خيراً؟ قال: صبرُ لا يتبعُه أذى. قال: فأيُّ الناسِ خيراً؟ قال: الذي يرضى بما أوتي. قال: فأي النّاس أعلمُ؟ قال: الذي يأخذُ من علمِ الناس إلى علمه. قيل: فما خير الكنز: من المال أو من العلم؟ قال: سبحانَ الله! بل المؤمنُ العالمُ الذي إنِ ابتُغيَ عنده خيرٌ وُجد، وإن لم يكن عنده كَفَّ نفسَه، وبحَسْبِ المؤمنِ أن يكفَّ نفسه.

١٦- وقال همام عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف]، قَالَ: (كَظِيمٌ عَلَى الْحُزْنِ، فَلَمْ يَقُلْ إِلاَّ خَيْرًا)(٨٠). عن يحيى بن المختار، عن الحسن قال: (الكظيم:

---

(٧٧) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٦٦).

(٧٨) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧٢).

(٧٩) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٩٨)، عبد الرزاق (٢٠٤٧٠) واللفظ له.

(٨٠) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (٨٩)، والطبري في «تفسير» (١٣/ ٢٩٧).

الصبور)[81]. وقال همام عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف]، أي: كميد، أي: كَمَدُ الحُزْنِ.

١٧- وقال الحسنُ: (مَا مِنْ جُرْعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جُرْعَةٍ مُحْزِنَةٍ مُوجِعَةٍ، رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِحُسْنِ صَبْرٍ وَعَزَاءٍ، أَوْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَ عَلَيْهَا)[82].

١٨- وقال عبدُ الله بن المبارك: أخبرنا عبدُ الله بنُ لَهِيعة عن عطاءِ بن دينارٍ أن سعيدَ بن جبيرٍ قال: (الصَّبْرُ اعْتِرَافُ الْعَبْدِ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُ، وَاحْتِسَابُهُ الأَجْرَ عِنْدَ اللهِ وَرَجَاءُ ثَوَابِهِ، وَقَدْ يَجْزَعُ الرَّجُلُ وَهُوَ مُتَجَلِّدٌ لاَ يُرَى مِنْهُ إِلاَّ الصَّبْرُ)[83].

فقوله: (اعترافُ العبد لله بما أصابَ منه) كأنه تفسيرٌ لقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة]؛ فيعترفُ أنه مُلْكٌ لله يتصرَّفُ فيه مالكُهُ بما يريد. وقوله: (راجياً ما عندَ الله) كأنه تفسيرٌ لقوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة]؛ أي: نُرَدّ عليه؛ فيجيزنا على صبرنا، ولا يُضَيِّعُ أجرَ المصيبة. وقوله: (وقد يجزعُ الرجُل وهو يَتَجَلَّد)؛ أي: ليس الصَبْرُ بالتَّجَلُّدِ، وإنما هو حَبْسُ القلبِ عن التَّسَخُّطِ على المقدورِ، وَرَدِّ اللسانِ عن الشكوى، فمن تَجَلَّد وقلبُه ساخِط على القَدَرِ؛ فليس بصابرٍ.

١٩- قال يونسُ بن يزيدَ: سألت ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصَبر؟ قال: أن يكون يومَ تصيبُه المصيبةُ مثلَه قبل أن تصيبَه[84].

٢٠- عن قيس بن الحجاج في قول الله: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج]، قال: أن يكون صاحبُ المصيبة في القومِ لا يعرَفُ من هو؟[85].

وكان شَمّر إذا عزى مُصاباً قال: (اصبر لما حكمَ ربُّك).

٢١- وقال أبو عقيل: رأيتُ سالمَ بنَ عبد الله بنِ عمرَ بيده سوطٌ وعليه إزارٌ في موتِ واقد بن عبد الله بن عمر لا يَسمَعُ صارخةً ينالها بالسوط إلا ضربها.

---

(٨١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٢٢).

(٨٢) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٥٥٠).

(٨٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١١١)، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١١٨).

(٨٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٢).

(٨٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (١٢٠)، «الرسالة القشيرية» (ص ١٨٦).

لا تجزعي يا خول واصبري   إن الكرامَ بنوا على الصَبرِ

قال: وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل التميمي: (أن رجلاً عَزّى رجلاً في ابنه فقال: إنما يستوجبُ على اللهِ وعدَه من صبرَ له بحقِّه، فلا تجمع إلى ما أُصبتَ به من المصيبةِ الفجيعةِ بالأجرِ، فإنها أعظمُ المصيبتين عليك، وأنكى الرَزِيَّتَيْنِ لك، والسلام).

وعزَّى ابنُ السَّماك رجلاً فقال: (عليكَ بالصبرِ فبه يعملُ من احتسبَ، وإليه يَصبرُ من جَزَع).

وقال عمرُ بن عبد العزيز: (أما الرضى فمنزلةٌ عزيزةٌ أو منيعةٌ، ولكنْ جعلَ اللهُ في الصَّبرِ مِعولاً حسناً). ولما مات عبدُ الملك بانُه صلّى عليه ثم قال: (رحمك الله، لقد كنتَ لي وزيراً، وكنتَ لي مُعيناً)، قال: والنّاسُ يبكون وما يقطرُ من عينيه قَطْرَةٌ.

وأصيبَ مُطَرِّفُ بنُ عبد الله في ابنٍ له، فأتاه قومٌ يعزونه فَخَرج إليهم أحسنَ ما كان بشراً، ثم قال: (إني لأستحي من الله أن اتضعضَعَ لمصيبةٍ).

وقال عمرو بن دينار: قال عبيد بن عمير: (ليس الجزعُ أن تدمعَ العينُ ويحزنَ القلبُ، ولكن الجزعَ القولُ السَّيِّئُ والظنُّ السَّيِّئُ).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسن بن عبد العزيز الجرَوي: قد مات ابن لي نَفيسٌ فقلت لأمه: (اتق الله و احتسبيه عند الله و اصبري) فقالت: مصيبتي به أعظمُ من أُفسدَها بالجزعِ[٨٦].

وقال ابن أبي الدنيا: وأخبرني عمرُ بن بُكير عن شيخٍ من قريش قال: مات الحسنُ بن الحصين أبو عبيدِ الله بنِ الحسن، وعبيدُ ا لله يومئذ قاضٍ على البصرة وأميرٌ، فَكَثُر مَن يُعزِّيه؛ فتذاكروا ما يتبين به جَزَعُ الرجلِ من صبرِه، فأجمعوا أنه إذا تَرَك مما كان يصنعُه فقد جَزِع.

وقال خالد بن أبي عثمان القرشي: كان سعيدُ بن جبير يعزيني في ابني، فرآني أطوف بالبيتِ متقنِّعاً فكشف القناعَ عن رأسي وقال: (الاستكانةُ من الجزَعِ).

الباب الثالث

الصبرُ على المرض

ويشملُ ثلاثةَ فصول:

(٨٦) المنبجي في «تسلية أهل المصائب» (ص٢١٢).

الفصلُ الأول: حقُّ المريض على المسلمين.

الفصل الثاني: رحمتُه ﷺ بالمرضى.

الفصل الثالث: مواقفُ إيمانية في الصبر على المرضِ.

حقُّ المريض على المسلمين

النعمُ التي يتقلبُ فيها الإنسانُ كُلُّها منَ اللهِ. يقول الله -عز وجل-: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، ونعمُ اللهِ علينا كثيرةٌ جداً، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤].

فالصحةُ والعافيةُ من أَجَلِّ نعمِ اللهِ علينا، والتي كانَ رسولُ الله ﷺ يسألُ رَبَّه دائماً دوامَها، فيقولُ: «**اللهُمَّ أَمْتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا**»(٨٧).

وأمرنا النبيُّ ﷺ أن نسألَ اللهَ دائماً الصحةَ والعافيةَ.

فقال ﷺ: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ**»(٨٨).

- وقال ﷺ: «**يا عَبَّاس: يا عَمَّ النبيِّ! أَكْثِرِ من الدُّعَاء بِالْعَافِيَةِ**»(٨٩).

وعَلَّمَنا النبيُّ ﷺ إذا رأى أحدُنا مبتلىً بمرضٍ أو غيره أن يقولَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً**» مَنْ قالَ ذلك «**لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاَءُ**»(٩٠).

والإنسانُ في هذه الدنيا يُبتلى بالصحةِ والمرضِ، وبالسراءِ والضراءِ، وبالحسناتِ والسيئاتِ، وبالخيرِ والشرِّ.

- قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف].
- وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

---

(٨٧) **حسن**: رواه الترمذي (٣٥٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٦١)، والبزار (٥٩٨٩)، [«صحيح الجامع» (١٢٦٨)].

(٨٨) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٥٨)، وأحمد (١/ ٧)، والحاكم (١٩٣٨)، وأبو يعلى (٩٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٧)].

(٨٩) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٩٠٨)، والحاكم (١٩٣٩)، وابن أبي الدنيا في الشكر (١٥٣) واللفظ له، [«صحيح الترغيب» (٣٣٩٠)].

(٩٠) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٤٣١)، وابن ماجه (٣٨٩٢) والطيالسي (١٣)، والطبراني في «الأوسط» (٥٣٢٤)، والبزار (١٢٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٩٢)].

والمؤمنُ الصادقُ في إيمانه -الذي يؤمنُ بقضاءِ الله وقَدَرِه- هو الذي إذا ابْتُلِيَ بالسراءِ شكَر، وإذا ابْـتُلِيَ بالضراءِ صبرَ.

قال ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَـيْرٌ، وَلَـيْسَ ذَاكَ لأَحَـدٍ إِلَّا لِلْمُـؤْمِنِ، إِنْ أَصَـابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٩١).

فالصحيح مبتلىً بالصحةِ؛ أيشكُرُ أم يكفُرُ، والمريضُ مبتلىً بالمرضِ؛ أيصبرُ أم يجزَعُ.

والذي دفعني للحديثِ عن حَقِّ المريض أمورٌ:

الأمرُ الأولُ: أن كثيراً منَ المرضى لا يصبرون على الابتلاءِ بالمرضِ، فتراهم يجزَعـونَ مـنَ المـرضِ، وربَّـما دَعَوْا على أنفسِهم بالموتِ، وهذا حرامٌ.

الأمرُ الثاني: أنَّ كثيراً منَ المرضى إذا مرضَ تركَ الصلاةَ، وهذا حرامٌ.

الأمرُ الثالثُ: أنَّ كثيراً منَ المرضى إذا اشتدّ بهمُ المـرضُ هرولـوا إلى الـسَّحَرَةِ والكَهَنـةِ والعـرافين، وهـذا حرامٌ.

الأمرُ الرابعُ: أنَّ كثيراً منَ المرضى -في مرضهم- لا يَدْعونَ اللهَ لأنفسهم بالـشفاءِ، بـل وَنَـسُوا أنَّ الـدعاءَ ينفعُ مما نزلَ، ومما لم ينزلْ.

الأمرُ الخامسُ: وجدتُ كثيراً منَ الأطباءِ -إلا مَنْ رحمَ ربي- لا يرحمون المـريضَ في الكـشفِ عليـه، وفي وصفِ الدواءِ له، وفي إجراءِ بعضِ العملياتِ الجراحيةِ له، فتراهم لا همَّ لهـم إلا أن يتحَـصلوا عـلى المالِ منَ المريضِ المسكينِ!

المريضُ في الإسلامِ شأنُه كبيرٌ، وحَقُّه علينا معشرَ المسلمينَ عظيمٌ، فَمِنْ حقِّ المريضِ علينا:

أولاً: أن نعودَه في مرضِه.

استجابةً لقولِه ﷺ: «**عُودُوا الْـمَرِيضَ وَاتَّبِعُوا الْـجِنَازَةَ تُذَكِّرْكُمُ الآخِرَةَ**»(٩٢).

ولقوله ﷺ: «**أَطْعِمُوا الْـجَائِعَ، وَعُودُوا الْـمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ**»(٩٣).

---

(٩١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٩٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٨)، والطيالسي (٢٣٥٥)، وأبـو يعـلى (١١١٩)، والبيهقي في الشعب (٨٧٥٠)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦٩)].

(٩٣) **صحيح**: رواه البخاري (٥٣٧٣).

ولقوله ﷺ: «**خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْـمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْـجَنَائِزِ**»[٩٤].

- ولقوله ﷺ: «**حَقُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فذكر منها: «**وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ**»[٩٥].

- وعن البراءِ رضي الله عنه قالَ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعِيَادَةِ الْـمَرِيضِ)[٩٦].

- وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ! مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ!**»[٩٧].

وعيادةُ المريضِ تكونُ للمسلمِ والكافرِ واليهوديِّ والكبيرِ والصغيرِ، وغيرِهم فهذا رسولُنا ﷺ:

١- عادَ عَمَّهُ أبا طالبٍ وهو كافرٌ، ودعاهُ إلى الإسلامِ، فقالَ له: «**يَا عَمِّ! قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»[٩٨]، ولكنه لم يَقُلْها وماتَ على كفرِه.

٢- وعاد الغلامَ اليهوديَّ، ودعاهُ إلى الإسلامِ، فأسلمَ.

- يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهْوَ يَقُولُ: «**الْـحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»[٩٩].

- وعادَ النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ رضي الله عنه، ودعا له فقالَ ﷺ: «**اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا**»[١٠٠].

- وعادَ ﷺ الأعرابيَّ، فقال له: «**لاَ بَأْسَ؛ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[١٠١].

---

(٩٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٩٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٩٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٧٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٩٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٩).

(٩٨) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٩٩) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٦).

(١٠٠) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(١٠١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٥٦).

• وعادَ النبيُّ ﷺ شاباً، فدخلَ عليه وهو في الموتِ، فقالَ له: «كيفَ تجدُكَ»، فقال: يا رسولَ الله! إني أرجو اللهَ، وإني أخافُ ذنوبي. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْـمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»(١٠٢).

وعيادةُ المريضِ تُدخِلُ السرورَ على قلبِ المريضِ، وإدخالُ السرورِ على قلبِ المسلمِ مِنْ أَحَبِّ الأعمالِ إلى الله -تعالى-.

قال ﷺ: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ -تعالى- سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ»(١٠٣).

• وعيادةُ المريض تُؤلفُ القلوبَ، وتحقّقُ قولَ النبيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى»(١٠٤).

• عيادةُ المريضِ فيها أجرٌ عظيم.

قال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِى اللهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْـجَنَّةِ مَنْزِلاً»(١٠٥).

وقال ﷺ: «إِنَّ الْـمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ لَمْ يَزَلْ فِى خُرْفَةِ الْـجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»(١٠٦).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِى الْـجَنَّةِ»(١٠٧).

ثانياً: ومِنْ حَقِّ المريض علينا أن نُذكِّرَه، ونبشّرَه ونحذِّرَه.

إذا عُدنا المريضَ فعلينا أن نُذَكِّرَهُ:

١- بفضلِ الصبرِ على المرضِ؛ ليصبرَ على مرضِه؛ وليتحصلَ على الأجرِ العظيمِ. نقولُ له أيها المريضُ! يقولُ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْـجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»(١٠٨).

---

(١٠٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٠)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٣)].

(١٠٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٤٦)، و«الأوسط» (٦٠٢٦)، و«الصغير» (٨٦١)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٢٣)].

(١٠٤) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٠١١)، مسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(١٠٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٧٨)].

(١٠٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٨).

(١٠٧) **صحيح**: رواه الترمذي (٩٦٩)، وابن ماجه (١٤٤٢)، وأحمد (١/ ٨١)،[«صحيح الترغيب» (٣٤٧٦)].

ويقولُ ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْـمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حَزَنٍ، وَلاَ أَذًى وَلاَ غَـمٍّ، حَتَّـى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»(١٠٩).

ويقولُ ﷺ: «**لاَ يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْـمُؤْمِنِ، وَالْـمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَـى اللهَ عَـزَّ وَجَـلَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١١٠).

- ويقولُ ﷺ: «**إِذَا اشْتَكَى الْـمُؤْمِنُ، أَخْلَـصَهُ اللهُ كَـمَا يُخَلِّـصُ الْكِيرُ خَبَـثَ الْـحَدِيدِ**»(١١١)، ومعنـى أخلَصَه الله: أي مِنَ الذنوبِ والخطايا.

فاصبرْ أيها المريضُ على مرضِك.

- فإن النبيَّ ﷺ يقولُ: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»(١١٢).
- ويقولُ ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١١٣).
- ويقول ﷺ: «**يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاَءِ الثَّوَابَ؛ لَـوْ أَنَّ جُلُـودَهُمْ كَانَـتْ قُرِضَتْ بِالْـمَقَارِيضِ**»(١١٤).
- ونَذْكُرُ له المرأةَ السوداءَ مثالاً في الصبرِ على المرضِ.

عندما أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَتْ: (إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي. قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَـكِ الْـجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ تعالى أَنْ يُعَافِيَكِ**» قَالَتْ: أَصْبِرُ -فَـصَبَرَتْ عـلى المـرضِ حتـى تفـوزَ بجنـةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ- فقَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَـهَا)(١١٥).

٢- بالدعاءِ.

---

(١٠٨) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٧)].

(١٠٩) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٤١).

(١١٠) **حسن صحيح**: رواه الترمذي(٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٤١٤)].

(١١١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٧)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٠٠)، والبزار (١٢٣)، وابن حبان (٢٩٣٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٤١٧)].

(١١٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

(١١٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(١١٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٢)، والطبراني في «الصغير» (٢٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٩٤٥١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٤)].

(١١٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

نقولُ له: أيها المريض! عليكَ بالدعاءِ؛ فإنَّ اللهَ -عز وجل- يقولُ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠]، ويقولُ سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء:٣٢].

ويقول النبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**»(١١٦).

ويقولُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(١١٧).

ويقولُ ﷺ: «**الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»(١١٨).

ويقول ﷺ: «**لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»(١١٩).

ويقول ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(١٢٠).

ونقول له: أيها المريضُ! ارفَعْ يديكَ إلى السماءِ، وقل: يا ربِّ، يا رب، يا رب اشْفِني، أَذْهِبْ ما نزل بي، وتَذَكَّرْ أيوبَ عليه السلام الذي ابتُلِيَ بالمرضِ ثماني عَشْرةَ سنةً، فصبرَ ودعا، واللهُ عز وجل يخبرُنا عنه في كتابِهِ، قالَ تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء].

وقال اللهُ -عز وجل- في وصفِه لعبدِه أيوبَ الذي صبرَ على المرضِ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ [ص].

٣- نُذَكِّرُه بالعلاجِ النبويِّ، نقولُ له: أيها المريض!

- لا تنْسَ أنْ تضَعَ يدَكَ على مكانِ الألمِ وتقرأَ الفاتحةَ؛ فهي الشافيةُ بإذنِ الله!
- لا تنْسَ أن تضعَ يدَكَ على مكانِ الألمِ وتقولَ: «بسم الله، بسم الله، بسم الله».

---

(١١٦) **حسن**: رواه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٣٢)، [«صحيح الترغيب» (١٦٢٩)].

(١١٧) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه(٣٨٦٥)، وابن حبان (٨٧٦)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٥)].

(١١٨) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١٨١٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

(١١٩) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٦١٢٨)، وفي «الدعاء» (٣٠)، والبزار (٢٥٤٠)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٩)].

(١٢٠) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وأحمد (٢/ ٤٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والبزار (٩٤٢٥)، وأبو يعلى (٦٦٥٥)، [«صحيح الجامع» (٢٤١٨)].

- لا تنْسَ أيها المريضُ أن تضعَ يدَكَ على مكانِ الألمِ وتقولُ: «أعوذُ بعزةِ الله وقدرتِه من شرِّ ما أجدُ وأحاذِرُ» سبعاً.
- لا تنْسَ العسلَ؛ ففيه شفاءٌ للناسِ.
- لا تنْسَ الحبةَ السوداءَ؟ فإن فيها شفاءٌ مِنْ كُلِّ داءٍ إلا السامَ -أي: الموت-.
- لا تنْسَ ماءَ زمزمَ؟ واشرَبْه بنيةِ الشفاءِ، قالَ ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[121].
- لا تنْسَ الحجامةَ والحناءَ، قال ﷺ: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ** -وهو مِشْرَطُ الحجَّام-، **أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بنَارٍ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**»[122].

وقال ﷺ: «**إِنْ كَانَ فِى شَىْءٍ مِمَّا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ خَيْرٌ فَالْحِجَامَةُ**»[123].

- وعن سلمى خادمِ رسولِ الله ﷺ قالَتْ: مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَجَعًا فِى رَأْسِهِ إِلَّا قَالَ: «**احْتَجِمْ**». وَلاَ وَجَعًا فِى رِجْلَيْهِ إِلَّا قَالَ: «**اخْضِبْهُمَا**»[124].
- وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: (حَدَّثَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِىَ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَمُرَّ عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلَّا أَمَرُوهُ أَنْ مُرْ أُمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ)[125].

ومِنْ حَقِّ المريضِ علينا أن نُبَشِّرَه.

نقول له: أيها المريضُ! أبشِرْ فإنَّ اللهَ أمرَ ملائكتَه أن تُسَجِّلَ لك ما كنتَ تعملُ وأنتَ صحيح، كقراءةِ القرآنِ والصلاةِ في جوفِ الليلِ، والصلاةِ في جماعةٍ، والصيامِ، وغيرِها.

- قال ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَمْرَضُ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ**»[126].

---

(١٢١) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٩)، والحاكم (١٧٣٩)، والبيهقي في الشعب (٣٨٣٣)، [«صحيح الترغيب» (١١٦٥)].

(١٢٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٢)، ومسلم (٢٢٠٥).

(١٢٣) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٢١٠٢)، وابن ماجه (٣٤٧٦)، وأحمد(٢/ ٣٤٢)، والحاكم (٨٢٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦٠)].

(١٢٤) **حسن**: رواه أبو داود (٣٨٥٨)، والترمذي(٢٠٥٤)،وابن ماجه(٣٥٠٢)، وأحمد (٦/ ٤٦٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦١)].

(١٢٥) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٠٥٢) عن ابن مسعود، وابن ماجه (٣٤٧٩) عن أنس، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦٢)].

(١٢٦) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٠٠)، وابن أبي شيبة (١٠٩٠٩) عن عبد الله بن عمرو، وأبو داود (٣٠٩١)، والحاكم (١٢٦١) عن أبي موسى الأشعري، [«صحيح الأدب المفرد» (٣٨٥)].

- وقال ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ يُصَابُ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلَّا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْملائكةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ، قال: اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا كَانَ يَعْمَلُ مِنَ خَيْرٍ مَا كان فِي وَثَاقِي**»(127).

- وقال ﷺ: «**إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْـمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ اللهُ لِلْمَلَكِ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ** -أي منَ الذنوبِ والخطايا- **وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ**»(128).

- وقال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِى الْـمُؤْمِنَ فَلَـمْ يَشْكُنِى إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِى، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَـحْمًا خَيْرًا مِنْ لَـحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ**»(129).

- وتقول أمُّ العلاءِ: عَادَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَرِيضَةٌ فَقَالَ: «**أَبْشِرِى يَا أُمَّ الْعَلاَءِ أَبْشِرِى! فَإِنَّ مَرَضَ الْـمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خُبْثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**»(130).

ومِنْ حَقِّ المريضِ علينا أن نُحذِّرَه.

١- من أن يتمنى الموتَ أو يدعوَ على نفسِه بالموت؛ جزعاً من شدةِ المرضِ.

- نقول له: أيها المريضُ! لا تتمنَّ الموتَ واصبر، قال ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْـمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا، فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ** -أي: يرجع عنِ الإساءَة-»(131).

- وقال ﷺ: «**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْـمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللهُـمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْـحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»(132).

- ويقول خَبَّابُ بنُ الأرتِّ رضي الله عنه وهو في مرضِه: (لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْـمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ)(133).

٢- ونحذِّر المريضَ من الذهابِ إلى السحرةِ والكَهَنةِ والعرافينَ. نقول: أيها المريضُ! احذَرْ أن تذهبَ إلى السحرةِ والكهَنةِ والعرافين؛ لأنَّ ذلكَ حرامٌ وشركٌ.

---

(١٢٧) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٥٩)، والدارمي (٢٧٧٠)، والحاكم (١٢٨٧)، والبيهقي في الشعب (٩٤٦٠)، [«صحيح الترغيب» (٤٣٢١)].

(١٢٨) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٤٨)، وأبو يعلى (٤٢٣٣)، وابن أبي شيبة (١٠٩٣٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٢٢)].

(١٢٩) **صحيح**: رواه الحاكم (١٢٩٠)، والبيهقي في الشعب (٨٨٠٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٢٤)].

(١٣٠) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٤١/ ٣٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٣٨)].

(١٣١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٣٥)، ومسلم (٢٦٨٢).

(١٣٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(١٣٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٣٤)، ومسلم (٢٦٨١).

• قال ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(١٣٤).

• وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(١٣٥).

• وقال ﷺ: «فَلاَ تَأْتُوا الْكُهَّانَ»(١٣٦).

• وقال ﷺ عن الكهان: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»(١٣٧).

٣- ونحذِّرُ المريضَ من تعليقِ الحُجُبِ والتمائِم. نقولُ له: أيها المريض! احذَرْ من تعليقِ الحجُبِ والتمائم؛ لأنها حرامٌ ومِنْ عَمَلِ السَّحَرةِ والعرافين.

• والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»(١٣٨).

• ودخلَ رجلٌ على مريضٍ فقالَ له: ألا تُعلِّقُ شيئاً؟ فقال المريضُ: الموتُ أقربُ من ذلك.

وَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(١٣٩).

وقال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ فَقَدْ أَشْرَكَ»(١٤٠).

٤- ونحذّرُ المريضَ من تركِ الصلاةِ. نقولُ له: أيها المريضُ! إِعلمْ أنَّ الصلاةَ لا تَسقُطُ عنكَ أبداً إلا بذهابِ العقلِ -فالصلاةُ لا تجبُ على المجنونِ- أو بذهابِ الروحِ -أي الموتِ- فلا يجوزُ للمريضِ أبداً أن يتركَ الصلاةَ، لأنّ تركَ الصلاةِ سببٌ لدخولِ النارِ. قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدَّثر].

وقال ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»(١٤١).

وقال ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ»(١٤٢).

---

(١٣٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

(١٣٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، وابن راهويه (٥٠٣)، والحاكم (١٥)، [«إرواء الغليل» (٢٠٠٦)].

(١٣٦) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

(١٣٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢١٣)، ومسلم (٢٢٢٨).

(١٣٨) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١)، والحاكم (٧٥٠٤)، وأبو يعلى (٥٢٠٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٧)].

(١٣٩) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٠٧٢)، والنسائي(٤٠٧٩)، وأحمد (٤/ ٣١٠)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٦)].

(١٤٠) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٧٥١٣)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٥)].

(١٤١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب» (٥٦٤)].

(١٤٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٢).

أيها المريض! إذا عَجَزْتَ عنِ الوضوءِ فعليك بالتيممِ: وذلكَ بأنْ تضْرِبَ الأرضَ أو الحائطَ الذي بجوارِكَ بيدَيك ثمَّ تمسحُ وجْهَكَ ثم كَفَّيْكَ، وإن عَجَزْتَ عن الوضوءِ والتيممِ فَصَلِّ على حالتِك. وإنْ عَجَزْتَ عنِ القيامِ في الصلاةِ فصلِّ قاعداً، فإن عَجَزْتَ فصلِّ على جَنْبٍ، فإنْ عَجَزْتَ فَصَلِّ حَسْبَ استطاعتِكَ؛ فإنَّ الله -عز وجل- قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وقال ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١٤٣).

ثالثاً: ومِنْ حَقِّ المريضِ علينا أن نَرْقِيَه بالرُّقيةِ الشرعيةِ.

وذلك بأن تضعَ يدَكَ على مكانِ الألمِ عِندَ المريضِ ثم:

١- تقرأُ سورةَ الفاتحةِ، والإخلاصِ، والمعوِّذَتين، وآيةَ الكرسي.

٢- ثم تقولُ: «**اللهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**» ثلاثاً(١٤٤).

٣- ثم تقولُ: «**أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ**» سَبْعاً(١٤٥).

٤- ثم تقولُ: «**أُعِيذُكَ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**» ثلاثاً(١٤٦).

٥- ثم تقولُ: «**اللهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلاَةٍ**»(١٤٧).

اللهم اشفِ مرضى المسلمين.

---

(١٤٣) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٨).

(١٤٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٢١٩١).

(١٤٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨١٦)، وأحمد (١/ ٢٣٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٨٠)].

(١٤٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٧١).

(١٤٧) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٠٧)، وأحمد (٢/ ١٧٢)، وابن حبان (٢٩٧٤)، والحاكم (١٢٧٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٠٤)].

رحمتُه صلى الله عليه وسلم بالمرضى

الكفارُ أعداءُ الإسلامِ، قديماً وحديثاً يتهمون رسول الله ﷺ ظلماً وزوراً بالسحرِ والكَهانة والجنونِ والإرهابِ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة].

• وهذه الاتهاماتُ الباطلةُ لرسلِ اللهِ تناقلَها أعداءُ الإسلامِ جيلاً بعد جيل قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات].

والله -عز وجل- أرحم، الراحمين، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] ومن رحمته -سبحانه- بعباده أنْ أرسلَ رسولَه محمداً ﷺ رحمةً للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقال ﷺ: (**يأيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ**»[١٤٨]. وما من مخلوقٍ إلا وناله نصيبٌ من هذه الرحمةِ المهداةِ، ومن هؤلاءِ: المرضى من بني آدم.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى:

أولاً: عيادته ﷺ لهم حتى ولو كانوا كفاراً

كان ﷺ يعود المريض:

• إذا كان المريض مسلماً عاده ونصحه ودعا له

١. عن أنس رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصارَ مثلَ الفرْخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنتَ تدعو بشيءٍ أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنتُ أقولُ: اللهمَّ ما كنتَ مُعاقبي به في الآخرة، فعجِّله لي في الدنيا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**سبحانَ الله! لا تطيقه** -أو لا تستطيعه- **أفلا قلت: اللهم! آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذابَ النارِ؟**» قال: فدعا الله له، فشفاه[١٤٩].

(١٤٨) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(١٤٩) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٨٨).

٢. وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً -أو أُتِيَ به إليه- قال عليه الصلاة والسلام: «**أَذْهِب الباس، ربَّ الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُكَ، شفاءً لا يغادرُ سَقَماً**»(١٥٠).

٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبيُّ ﷺ إذا عادَ المريضَ جلس عند رأسه، ثم قال (سبع مرارٍ): «**أسأل اللهَ العظيمَ، ربَّ العرشِ العظيم أن يشْفِيك**» فإن كان في أجله تأخيرٌ عوفي من وجعه(١٥١)

- أما إذا كان المريض كافراً، فكان ﷺ يعودُه ويدعوه إلى الإسلام

١. فعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النبيَّ ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أَسْلِمْ**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده. فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ! فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»(١٥٢).

أين دعاةُ الحضارةِ وحقوقِ الإنسانِ من هذا الخلقِ الكريم؟

٢. وعن المسيِّب بن حَزْنٍ رضي الله عنه قال: لما حَضَرت أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسولُ الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهلٍ بن هشامٍ، وعبدَ الله بنَ أبي أمية بنِ المغيرة. قال رسولُ الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عم! قل لا إله إلا الله، كلمةٌ أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهلٍ، وعبدُ الله بن أبي أميّة: يا أبا طالبٍ! أترغبُ عن ملةِ عبد المطلبِ؟ فلم يزلْ رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالبٍ آخرَ ما كلمهم: هو على ملةِ عبد المطلب، وأبى أن يقولَ لا إلهَ إلا الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنهَ عنك**» فأنزل الله -تعالى- فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة](١٥٣).

---

(١٥٠) **متفقٌ عليه**: رواه البخاري (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

(١٥١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٦)، وابن حبان (٢٩٧٥)، وأبو يعلى (٢٤٣٠)، [«صحيح الأدب المفرد» (٤١٦)].

(١٥٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٣٥٦).

(١٥٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

ثانياً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: أمرُه ﷺ بعيادةِ المرضى، وأن ذلك حقٌّ لهم على المسلمين، وبيانُه ثوابَ ذلكَ عندَ الله

١. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**حقُّ المسلمِ على المسلمِ خمسٌ: ردُّ السلام، وتشميتُ العاطس، وإجابةُ الدعوة، وعيادةُ المريض، واتباعُ الجنائز**»(١٥٤).

٢. وعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ بسبعٍ، ونهانا عن سبعٍ، أمرنا بعيادة المريض واتباعِ الجنازةِ» الحديث(١٥٥).

٣. وقال ﷺ: «**عودوا المريضَ، واتّبعوا الجنائزَ، تُذكِّرْكم الآخرة**»(١٥٦).

وأخبرنا رسولُ اللهِ ﷺ بعِظَم جزاء عيادةِ المرضى عندَ الله -تبارك وتعالى-:

١. قال ﷺ: «**من عادَ مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ: أن طبتَ، وَطابَ ممشاك، وتبوّأتَ من الجنة منزلاً**»(١٥٧).

٢. وقال ﷺ: «**ما من مسلمٍ يعودُ مسلماً غدوةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسي، وإن عاده عشيةً إلا صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُصبح، وكان له خريفٌ في الجنة**»(١٥٨).

٣. وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضتُ فلم تعُدني. قال: يا ربِّ! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما أعلمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده!**»(١٥٩).

٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أصبح منكم اليومَ صائماً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازةً؟**» قال أبو بكرٍ: أنا. قال: «**فمن أطعم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليومَ مريضاً؟**» قال أبو بكر أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة**»(١٦٠).

---

(١٥٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(١٥٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦).

(١٥٦) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥١٨)، والطيالسي (٢٢٤١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦٩)].

(١٥٧) **حسن**: رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، [«صحيح الجامع» (٦٣٨٧)].

(١٥٨) **صحيح**: رواه الترمذي (٩٦٩)، وأحمد (١/ ١٢٠-١٢١)، [«صحيح الجامع» (٥٧٦٧)].

(١٥٩) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٩).

(١٦٠) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢٨).

ثالثاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: تبشيرُهم ﷺ بما لهم عند الله من الأجر والثواب إذا صبروا على المرض، ورضوا بقضاء الله وقدره

١. قال ﷺ: «**إن عِظَمَ الجزاءِ معَ عظَم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السُّخْط**»[١٦١].

٢. وقال ﷺ: «**ما يُصيب المسلمَ من نَصب ولا وَصب ولا هم ولا حَزَن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكَةِ يُشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**»[١٦٢].

٣. وقال ﷺ: «**لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وأهله وماله، حتى يلقى الله -عز وجل- وما عليه خطيئة**»[١٦٣].

٤. وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ابتلى الله -عز وجل- العبدَ المسلمَ ببلاءٍ في جسده، قال الله -عز وجل- للملَك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، وإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه**»[١٦٤].

٥. وقال ﷺ: «**قال الله -تبارك وتعالى-: إذا ابتليتُ عبدي المؤمن فلم يَشْكُني إلى عُوّاده، أطلقته من أساري، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل**»[١٦٥].

- فيا أيها المريض! مهما اشتد بك المرض وطال، فاصبر! فالأجر عظيمٌ.

١. قال ﷺ: «**الصبر ضياءٌ**»[١٦٦].

٢. وقال ﷺ: «**من يتصبَّر يُصبِّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»[١٦٧].

٣. وقال ﷺ: «**يودُّ أهل العافية يوم القيامة، حينَ يُعطى أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض**»[١٦٨].

---

(١٦١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٦)].

(١٦٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(١٦٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٠)].

(١٦٤) **حسن**: رواه أحمد (٣/ ١٤٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٨)].

(١٦٥) **صحيح**: الحاكم (١٢٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٢)].

(١٦٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

(١٦٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(١٦٨) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٤)].

• وتذكَّر صبر نبيّ الله أيوب عليه السلام الذي صبر على البلاء ثماني عشرة سنة فقال الله عنـه ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ [ص].

• وتذكَّر المرأة السوداء التي من أهل الجنـة، فقـد جـاءت إلى النبـي ﷺ فقالـت: يـا رسـول الله! إني أُصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال ﷺ: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله تعـالى أن يعافيـك**» فقالـت: أصـبر، فقالـت: إني أتكـشف فـادع الله أن لا أتكـشف، فـدعا لها»[169].

رابعـاً: ومـن مظـاهر رحمتـه ﷺ بالمرضـى: وصـفُه ﷺ العـلاج للمرضـى -وهو المعروف بالطب النبوي-

وهذا العلاج النبوي نوعان:

النوع الأول: الرُّقية الشرعية، كقراءة آيات من القرآن الكريم، والفاتحة، وآيـة الكـرسي، وآخـر سـورة البقـرة، والمعوذات. ويضع يده على مكان الألم ويقول: «**بسم الله، بـسم الله، بـسم الله**» ويقـول: «**أعـوذ بعـزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر**»[170] سبعاً وغيرها مما ثبت عن رسول الله ﷺ.

النوع الثاني: الأدوية كالعسل، فالله -عز وجل- يقول: ﴿ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل:69] وكماءٍ زمزم، إذا شربه المريض بنية الشفاء قال ﷺ: «**ماء زمزمَ لما شُرب له**»[171].

وكالحبة السوداء: قال ﷺ: «**إن هذه الحبة السوداء شفاءٌ من كل داءٍ إلا من السَّام**»[172].

وكالحجامة والحناء: قال ﷺ: «**الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاءٌ وبركةٌ**»[173].

• وقال ﷺ: «**إن كان في شيءٍ مما تداويتم به خيرٌ، فالحجامة**»[174].

• وعن سلمى خادم رسول الله ﷺ قالت: ما كان أحـدٌ يـشتكي إلى رسـول الله ﷺ وجعـاً في رأسـه إلا قال: «**احتجم**»، ولا وجعاً في رجليه إلا قال: «**إخضبْهما**»[175].

---

(169) **متفق عليه**: رواه البخاري (5652)، ومسلم (2576).

(170) **صحيح**: رواه مسلم (2202).

(171) **حسن لغيره**: رواه ابن ماجه (3062)، وأحمد (3/ 357)، [«صحيح الجامع» (1819)].

(172) **متفق عليه**: رواه البخاري (5687)، ومسلم (2215).

(173) **حسن**: ابن ماجه (3487)، [«السلسلة الصحيحة» (766)].

(174) **صحيح**: رواه أبو داود (3857)، وابن ماجه (3476)، [«صحيح الجامع» (1430)].

(175) **حسن**: رواه أبو داود (3858)، وأحمد (6/ 462)، [«صحيح الترغيب» (3461)].

• وإذا ذهب المريض إلى الطبيب أخذاً بالأسباب فلا حرجَ لقوله ﷺ: **«تداووا عباد الله! فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء واحدٍ الهرم»**(١٧٦).

• وقال ﷺ: **«لكل داء دواءٌ، فإذا أصابَ دواءٌ الداء برئ بإذن الله تعالى»**(١٧٧).

• وقال ﷺ: **«إن الله لم يُنزلْ داءً إلا أنزل الله له شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله»**(١٧٨).

هذا رسولنا محمدٌ ﷺ يا أعداء الإسلام! الذي تتهمونه بالإرهاب، فانظروا كيف عمت رحمته المريض المسلم والكافر. كيف لا؟ والله عز وجلّ يقول عنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

ويقول هو عن نفسه ﷺ: **«يأيها الناس! إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ»**(١٧٩).

خامساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: نهيُه ﷺ أن يتمنى المريض الموت، أو يدعو به على نفسه

١. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ من ضُرٍّ أصابه، فإن كان لابدّ فاعلاً فليقل: اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»**(١٨٠).

٢. عن قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى قال: دخلنا على خباب نعوده -وقد اكتوى سبع كيّاتٍ في بطنه- فقال: لوما أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت، لدعوت به(١٨١).

٣. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«... ولا يتمنينَّ أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يَسْتَعْتِبَ»**(١٨٢). وفي مسلم: **«لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبلِ أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمنَ عملُه إلا خيراً»**(١٨٣).

سادساً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: حثُّه ﷺ المريض أن يحسنَ الظن بالله.

١. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: **«لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله عز وجل»**(١٨٤).

---

(١٧٦) **صحيح**: رواه ابن أبو داود (٣٨٥٥)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٠)].

(١٧٧) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٤).

(١٧٨) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٤٤٣)، والحميدي (٩٠)، [«صحيح الجامع» (٢٦٩٠)].

(١٧٩) **صحيح**: رواه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ١٩٢)، والحاكم (١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٤)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٩٠)].

(١٨٠) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(١٨١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

(١٨٢) **صحيح**: رواه البخاري (٥٦٧٣).

(١٨٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٨٢).

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله -عز وجل- أنا عند ظن عبدي بي**». الحديث[١٨٥].

٣. وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على شابٍّ وهو في الموت فقال: «**كيف تجِدُك؟**» قال: أرجو الله يا رسول الله! وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبدٍ مؤمنٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمّنه مما يخاف**»[١٨٦].

وكيف لا يحسن العبد الظن بربه -عز وجل- والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

ويقول تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[١٨٧].

سابعاً: ومن مظاهر رحمته ﷺ بالمرضى: حثُّه ﷺ على تلقين المريض المحتضر (لا إله إلا الله) إذا لم ينطق هو بها

قال ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**[١٨٨]، (مَنْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه)»[١٨٩]. وذلك لأن من خُتم له بالإيمان، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله، فإنه يُبعث على ما مات عليه، ثم يدخل الجنة، مع ما كان عليه من العمل.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه**»[١٩٠].

فعلى المسلمين أن يتأسّوا برسول الله ﷺ في رحمته بالمرضى، فيرحموهم؛ وذلك بعيادتهم، وتذكيرهم بالصبر على المرض، وحسن الظنِّ بالله تعالى، والدعاء لهم.

وعلى الأطباء والمستشفيات أن يتقوا الله في المرضى، بُحسن الكشف عليهم، ووصف العلاج المناسب لهم، وعدم إجراء عمليات لهم إلا إذا كانوا بحاجة إليها. لأن من الأطباء من يدفعه الطمع إلى تحميل المريض المسكين ما لا يُطيق من النفقات والعمليات والعلاج الذي ربما لا يكون المريض بحاجة إليه.

---

(١٨٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧).

(١٨٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(١٨٦) **حسن**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، وعبد بن حميد (١٣٧٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٨٣)].

(١٨٧) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦١٦)].

(١٨٨) **صحيح**: رواه مسلم (٩١٦).

(١٨٩) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٧٠)، [«صحيح الجامع» (٥١٥٠)].

(١٩٠) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٨).

وعلى المرضى أن يتقوا الله في أنفسهم بأن يصبروا على ما نزل بهم من البلاء، وأن يلجأوا إلى الله تعالى بالدعاء، لأنّ الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وأنّ عليهم أن لا يتركوا الصلاة معتذرين بالمرض، لأن الصلاة لا تسقط عن العبدِ إلا بفقد العقل أو خروج الروح.

وأخيراً فليحذر المرضى كل الحذر من الذهاب إلى الكهنة والسحرة والمشعوذين، فوالله الذي لا إله غيره ولا ربّ سواه! لأن يموت المريض صابراً محتسباً خيرٌ له من أن يذهب إلى ساحرٍ ولو كان الشفاءُ على يديه. لقوله ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمدٍ ﷺ**»(١٩١). ولقوله ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيءٍ، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً**»(١٩٢).

---

(١٩١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٣٣)].

(١٩٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

مواقفُ إيمانية في الصبر على المرض

الإنسانُ في هذه الدنيا في ابتلاءٍ دائمٍ؛ يُبتلى بالسراءِ مرةً وبالضراءِ أخرى ويُبتلى بالخيرِ تارةً وبالشرِّ أخرى ويُبتلى بالصحةِ أحياناً وبالمرضِ أخرى، وقد يُبتلى بالفقرِ زمناً ثم يُغنيهِ اللهُ الغنيُّ العزيزُ ليُمتحَنَ أيشكُرُ في الرخاءِ أم ينسى؟

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

فالمؤمنُ الصادقُ في إيمانِه، الذي يؤمِنُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه هو مَنْ إذا ابتُلي بالسراءِ شكرَ، وإذا ابتُلي بالضراءِ صبر.

قال ﷺ: «**عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»(١٩٣).

واللهُ عز وجل يَبتلي عبادهُ بالأمراضِ في هذه الدنيا لحكمةٍ يعلمُها:

ويقول ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مَنْ نَصَبٍ**» -أي: تعب- «**وَلاَ وَصَبٍ**» -أي: مرض- «**وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حزنٍ وَلاَ أَذَى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه**»(١٩٤).

ويقول ﷺ: «**مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(١٩٥).

ويقول ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونَ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلاَ يَزَال اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(١٩٦).

إِنَّ الابتلاءَ بكلِّ أصنافه وأشكالِه سواءٌ كانَ بالمرضِ أو الفقرِ ونحوِهما -إذا أصيبَ به المؤمنُ فليعلَمْ أنه ليس عنوانَ السُّخْطِ والغضبِ عليه منَ الله عز وجل بل هو -إنْ شاءَ الله- دليلٌ لمحبةِ اللهِ له، فهو ليسَ

---

(١٩٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(١٩٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(١٩٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، وابن حبان (٢٩١٣)، [«الصحيحة» (٢٢٨٠)].

(١٩٦) حسن: أخرجه ابن حبان (٢٨٩٧)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وأبو يعلى (٦٠٨٨)، [«صحيح الجامع» (١٦٢٥)].

نذيرُ شَرٍّ بل هو بشيرُ خيرٍ بإذن الله، واسمع لقولِ رسولِ الله ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ؛ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخط**»(١٩٧).

وقال ﷺ: «**مَنْ يُرِد اللهَ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**»(١٩٨).

وقال ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١٩٩).

فيا عبدَ الله! إذا ابتليتَ بمرضٍ ما فاصبِرْ واحتَسِبْ ولا تجزَعْ ولا تفزَعْ -مهما كانَ ذاكَ المرضُ-، ولا تشتكِ إلا إلى الله، فإنك إذا شكوتَ ما أنزلَ اللهُ بكَ من البلاءِ إلى عبادِ الله فإنما أنتَ تشكو الرحيمَ إلى مَنْ لا يرحم!

فعليك بالصبرِ والاحتسابِ، وارفَعْ يديك متوجهاً إلى الذي بيده الشفاءُ وإزالةُ الداءِ، توجَّهْ للذي يجيبُ المضطَّرَّ إذا دعاه وخذ بعدَ ذلك بالأسبابِ المشروعةِ للعلاجِ فإنَّ:

١- رسولَ الله ﷺ قال: «**تَدَاوَوا عِبادَ الله، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ، الهَرَمِ**»(٢٠٠).

٢- وقال ﷺ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أَصابَ دَوَاءٌ الدَّاءَ بَرِئَ بِإِذْنِ اللهِ عزَّ وجلَّ**»(٢٠١).

٣- وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَمْ يُنْزِل دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٢٠٢).

تعالَوا بنا يا عبادَ الله! نتعلمِ الصبرَ على المرضِ من عبدٍ ابتلاهُ الله عز وجل بالمرضِ ثماني عَشْرةَ سنةً، فصبرَ واحتسَب، فأثنى اللهُ عليه، وأنزلَ فيه قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامة.

قال تعالى فيه: ﴿.... إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص]

---

(١٩٧) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح الجامع» (٢١١٠)].

(١٩٨) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

(١٩٩) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وأبو يعلى (٤٢٥٤)، والحاكم (٤/ ٦٥١) والروياني في «مسنده» (٨٨٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠٨)].

(٢٠٠) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٦٨)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٠)].

(٢٠١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٢٠٢) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٣)، والحاكم (٨٢٠٥)، [«صححه محققو المسند»].

أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟.. إنه نبيُّ الله أيوبُ عليه السلام.

قال علماءُ التفسيرِ والتاريخِ وغيرُهم: كان أيوبُ عليه السلام رجلاً كثيرَ المالِ -أي: غنياً- وكان لهُ أولادٌ وأهلونَ كثيرٌ فسُلِبَ منه ذلكَ جميعُهُ، وابتُلي في جسدِه بالمرضِ، وأخذَ المرضُ يزدادُ فما تركَ جزءاً من جسدِه إلا وصلَ إليه سوى قلبِهِ ولسانِهِ ليذكرَ ربَّه بقلبِه ولسانِه، فصبرَ أيوبُ عليه السلام، واحتسبَ الأجرَ عندَ الله، وكان يذكُرُ ربَّه بقلبِه ولسانِه ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساء.

وطالَ مرضُه حتى عافَه الجليسُ، واستوحشَ منه الأنيسُ، وانقطعَ عنه الناسُ، ولم يبقَ أحد يحنو عليه سوى زوجتِهِ التي وقفت بجانبِه ترعى له حقَّه، وتقوم على خدمتِه، وتعرفُ قديمَ إحسانِه إليها وشفقتَه عليها فكانت تترددُ إليه فتُصلِحُ من شأنه، وتُعينُه على قضاءِ حاجتِهِ وتقومُ بمصلحتِه، وضَعُفَ حالها، وقَلَّ مالُها، حتى كانت تخدِمُ الناسَ بالأجرِ لتطعِمَه، وهي صابرةٌ معَه على ما حَلَّ بهما من فراقِ المالِ والولدِ، وما يختصُّ بها منَ المصيبةِ بالزوجِ وضيقِ ذاتِ اليدِ، وخدمةِ الناس، بعدَ السعادةِ والنعمةِ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سُئل رسولُ الله ﷺ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**»(٢٠٣).

وقال ﷺ: «**يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلاَبَةٌ، زِيدَ فِي بَلاَئِهِ**»(٢٠٤).

المرضُ يزدادُ يوماً بعد يومٍ، وأيوبُ عليه السلام يصبرُ ويحتسبُ حتى ضربَ لنا مثلاً أعلى في الصبرِ على المرضِ.

ويكفيه أنَّ اللهَ عز وجل أثنى عليه في كتابه، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ** ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

وأيوبُ عليه السلام يعلمُ أنه لا يكشفُ الضُّرَّ إلا اللهُ، ولا يستجيبُ دعاءَ المضطرِّ إلا الله، فتأملوا عبادَ الله قولَه تعالى: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام:١٧].

---

(٢٠٣) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وأحمد (١/ ١٧٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٢٠٢)، وابن حبان (٢٨٨٩)، [«حسنه محققو المسند»].

(٢٠٤) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٥٢)، أحمد (١/ ١٧٢)، وابن حبان (٢٨٩٠)، [«حسنه محققو المسند»].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

ثم أيوبُ عليه السلام يعرفُ أنَّ الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزلْ، فما كانَ من أيوبَ عليه السلام إلا أن توَجَّهَ إلى ربه بالدعاء.

ولم يذهبْ أيوبُ إلى السحرةِ والمشعوذين، ولم يسارعْ إلى الكهنةِ والكذابين، إنما توجَّه إلى ربِّ العالمين فقال متوكلاً على الله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

دعاءٌ توجَّه بهِ إلى الله ذكرَ فيه حاجتَه وضُرَّه في منتهى الأدبِ معَ الله عز وجل.

فلم يقلْ أيوبُ: يا ربَّ ماذا فعلْتُ؟ ولم يقل: يا ربِّ أمرضتني؟

قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: يا ربِّ هذا حالي أمامَك، يا ربِّ فإنْ كانت هذهِ الأمراضُ والآلامُ التي تسري في أوصالي، وهذهِ الآلامُ التي تؤذيني تُرضيك، وإن كانَ يُرضيك فقري، وزوالُ أموالي وأولادي، إنْ كان يرضيكَ هذا فلا شكَّ أنه يُرضيني، وإنْ كانَ عفوُك وكرمُك ورحمتُك تقتضي أن ترحَمني وتزيلَ ما بي من بؤسٍ وألمٍ فالأمرُ كُلُّه راجعٌ إليك ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك.

كما قال موسى عندما كانَ في بلدِ الغربة، وانقطعَ عنه الجميعُ، وجلَسَ في الظِّلِّ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

و دعا أيوب عليه السلام ربَّه ولم ييأسْ ولمْ يَقْنَطْ فأتاه الفرجُ من قريبٍ واستجابَ الله له، وكشفَ ضُرَّه، وردَّ عليه صحَّتَه.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

فتذكر عبدَ الله أن تفعلَ كما فعلَ أيوبُ في مرضه.

وقبل أن تذهبَ إلى الطبيبِ قل: يا ربِّ؛ فالشافي هوَ اللهُ، والذي يكشفُ الضُّرَّ هو الله، والذي يستجيبُ للمضطرِّ إذا دعاه هو الله.

ولنستمعْ إلى رسولِ الله ﷺ وهو يخبرُنا عن خبرِ أيوبَ عليه السلام، الذي ضربَ لنا مثلاً أعلى في الصبرِ على المرض.

يقول ﷺ: «**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ ﷺ لبِثَ بِهِ بَلاَؤُهُ ثَمانِ عَشْرَةَ سَنَةً**» -يا من لا يصبرُ على المرضِ- «**فَرَفَضَهُ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ؛ إِلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: تَعْلَمُ، وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْباً مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ العَالَمِينَ.**

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمانِ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفُ مَا بِهِ. فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُوبَ؛ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُل حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لاَ أَدْرِي مَا تَقُولانِ؛ غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعَالى يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَان اللهَ» -أي: يذكرانِ اللهَ عند الغضَبِ، أي: ربما بالسوءِ- «**فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي، فَأُكَفِّرَ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلاَّ فِي حَقٍّ**».

فظنَّ الرجلُ الأول أن ما نزلَ بأيوبَ من بلاءٍ -كما يظنُّ الجهلةُ من الناسِ- دليلٌ على غضبِ الله، وسَخَطِ الله، لا يا عبادَ الله، فهذا أيوبُ عليه السلام لما قيلَ له ذلك تذكرَ ماضيَه فلم يجدْ معصيةً اقترفَها تُغضِبُ اللهَ، بل كان طائعاً لله.

فالبلاءُ دليلٌ على محبةِ الله، والبلاءُ دليلٌ على الاستقامةِ على المنهجِ، والبلاءُ دليلٌ على أنَّ العبدَ قائمٌ بأمرِ الله.

كما قال ﷺ: «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**»(٢٠٥).

أما العقوبةُ فقد تكونُ غضباً منَ الله على العبدِ إذا وقعَ في المعصيةِ، فإن ابتُليتَ يا عبدَ الله ونزلَ بكَ المرضُ فتذكَّرْ ماضيَك فإن كنتَ على طاعةِ الله عز وجل وعلى المنهجِ والاستقامةِ فأبشِرْ فإنَّ ذلكَ ابتلاءٌ منَ الله، وإن كنتَ قد وقعتَ في الذنوبِ واقترفْتَ المعاصي فاعلمْ أن ذلك عقوبةٌ منَ الله، فما عليكَ إلا أن تُسارعَ فتتوبَ، وتستغفرَ، وترجعَ إلى الله.

ثم يقول ﷺ -في خبرِ أيوب عليه السلام-: «**وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ؛ فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتْهُ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا**» -أي: تأخر عنها- «**وَأُوْحِيَ إِلَى أَيوبَ أَنْ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾**».

---

(٢٠٥) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٤٥)، [«صحيح الجامع» (٩٩٤)].

يقول ﷺ: «**فَاسْتَبْطَأَتْهُ**» -أي: امرأته- «**فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ وقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ؛ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ! هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَاللهُ عَلَى ذَلِكَ؛ مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحاً! فقال: فَإِنِّي أَنا هُوَ**».

إنَّ الإيمانَ إذا اجتمعَ مع الصبرِ، فإن شمسَ الفَرجِ قريبةٌ، وإنَّ الشفاءَ يأتي في لحظةٍ، فلا بدَّ مِنَ الصبرِ والتوكلِ على الله.

يقولُ ﷺ: «**وَكَانَ له أَنْدَرَان**» -أي: بَيْدران- «**أَنْدرٌ للقَمْحِ، وَأَندرٌ للشّعير، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُما عَلَى أَنْدَرِ القَمْحِ؛ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الأُخرى في أَندرِ الشَّعِيرِ الورِقَ**» -أي: الفضة- «**حَتَّى فَاضَ**»(٢٠٦).

يقول ﷺ: «**بَيْنَما أَيوبُ يَغْتَسِلُ عُرْياناً، خَرَّ عَلَيْه رِجْلُ جِرادٍ مِنْ ذَهَبٍ**» -وهي الجماعة العظيمة- «**فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُك عَمَّا تَرَى؟**» قال -أي: أيوب عليه السلام: «**بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِن لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكِ**»(٢٠٧).

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

ومن أهمِّ الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ منْ خبرِ أيوبَ ¢:

أنه يجبُ على المريضِ أن يصبرَ على المرضِ مهما كان، ومهما طالَ الزمانُ.

يقول ﷺ: «**الصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»(٢٠٨).

ويقول ﷺ: «**وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ الله، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنْ الصَّبْرِ**»(٢٠٩).

فبالصبرِ يوفَّى الصابرون أجرَهم يومَ القيامة بغيرِ حسابٍ، وبالصبرِ يحصلُ الفوزُ بالجنةِ، والعبدُ إذا لم

---

(٢٠٦) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم (٣/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وابن حبان (٢٨٨٧)، والحاكم (٢/ ٦٣٥، ٦٣٦)، وأبو يعلى (٣٦١٧)، [«الصحيحة» (١٧)].

(٢٠٧) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٩١).

(٢٠٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢٠٩) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ لمسلم.

يصبرْ على المرضِ فإنه سُرْعانَ ما تراه يذهبُ إلى المشعوذين والكهنةِ، فيقعُ في معصيةِ الله، ويتعَلَّـقُ بمـن لا يشفي ولا ينفعُ ولا يَضُر، فيخسرُ الدنيا والآخرةَ، وذلك هو الخسرانُ المبين.

وتعلموا عبادَ الله من خبرِ هذه المرأةِ السوداءِ حيثُ قالَ ابنُ عباسٍ ﵄ لعطاءِ بنِ أبي رباحٍ: ألا أُريـكَ امرأةً مِنْ أهلِ الجنة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ أتتِ النبـيَّ ﷺ فقالـت: إني أُصرَعُ وإني أتكـشَّفُ فادعُ اللهَ لي. قال: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فقالت: أَصبِرُ.

فقالت: إني أتكَّشفُ، فادعُ اللهَ لي أن لا أتكشفَ، فدعا لها(210).

فماذا عسايَ أن أقولَ لأولئك الذين سُرعانَ ما يذهبونَ إلى السحرةِ والعرافين والمشعوذين؟!!

• شابٌ في الخامسةِ والعشرين من عُمُره يكذبُ على الناسِ ويفـتري علـيهمُ الكـذبَ، أولُ مـا بـدأ في النَّصْبِ والاحتيالِ ادَّعى أنه يتعاملُ مَعَ الجنِّ المؤمنِ في العلاجِ، وهذا حرامٌ شرعـاً فلـما تبـينَّ لـه أنَّ أهـلَ العلمِ قد أَفْتَوا بعدمِ الذهابِ إليهِ، وأنَّ التعاملَ مع الجنِّ لا يجوز -ولو كانَ مؤمنـاً- غَـيَّرَ طريقـةَ النـصبِ وقال للناسِ: أنا أتعاملُ معَ الملائكةِ، ويزعمُ أنه عندَ عينـه ملـكٌ يدلُّـه عـلى نـوعِ مـرضِ المـريضِ فيقـومُ بعملياتٍ بواسطةِ الجنِّ، يدّعي أنَّ المريضَ يُشفى بها وأنتم تعرفونَه ومنكم من ذهـبَ إليـه، دجـالٌ يأخـذُ بقلوبِ الناسِ.

ابنَ آدم! لو ذهبتَ إليه وشفاكَ اللهُ على يدِ هذا الدجالِ فهذا ليسَ دليلاً على أنَّ الـذهابَ إلى الـدجالين والسحرة جائزٌ شرعاً، وبذلكَ تبطلُ الحجةُ التي يحتجُّ بها الجهَلَة وهي حصولُ شفاءِ المـريضِ عـلى أيـدي المشعوذين والسحرَةِ بل هي فتنة.

نقولُ له: يا أيها الكذابُ! وهل تنزلُ الملائكةُ على أحدٍ بشيءٍ مِنْ علمِ الغيبِ بعد وفاةِ المـصطفى ﷺ؟! كيفَ تأتيكَ الملائكةُ وتعاوُنك وقد انقطَعَ الوحيُ بعد موتِ رسولِ الله ﷺ؟ لقد أخبرَنا اللهُ عزَّ وجل عـن أمثـالِ هـؤلاءِ في قولـه تعـالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾**﴾ [الشعراء].

والأَفَّاكُ: هو مَنْ بلغَ أعلى درجاتِ الكذبِ، والأثيمُ: هو الذي يعصي اللهَ فيما بينَه وبينَ اللهِ ولا يعلمُ به إلا اللهُ.

---

(٢١٠) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

فكيفَ تخدعونَ يا عبادَ الله بعدَ هذا البيانِ وتذهبونَ إلى الدجالين وإلى السَّحَرةِ؟!

أما سمعتم رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»(٢١١)؟!

يا عبد الله! إذا أردْتَ الدواءَ فعليكَ بالأدويةِ المشروعةِ وبالوسائلِ الشرعيةِ، من ذلك:

الذهابُ إلى الطبيبِ ليحاولَ معرفةَ وتشخيصَ المرضِ، ثم يصفَ لكَ العلاجَ، فإنْ صادفَ هذا الدواءُ الداءَ شُفيتَ بإذن الله، وإلا فاذهبْ إلى طبيب غيره.

ثم عليكَ أن تصبرَ وأن تدعوَ اللهَ عز وجل، وتسلَّحْ بالاستغفارِ والذكرِ، والدعاءِ بما ثبتَ في الكتابِ والسنةِ.

فلا تنْسَ أنْ تضعَ يدَك على مكانِ الألمِ وتقرأَ الفاتحةَ فهي الشافيةُ بإذنِ الله.

ولا تنسَ أن تضعَ يدَك على مكانِ الألم وتقولَ: «**بِسْم الله ثلاثاً**»، وتقولَ: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ الله وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**» سبعاً(٢١٢).

ثم لا تنسَ أيضاً أن تقولَ: «**أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يُشْفِينِي**»(٢١٣).

ولا تنس أن ترقيَ نفسَك بشيءٍ منَ القرآن.

ولا تنس العسَلَ؛ فقد أخبرَنا الله عز وجل أنَّ ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل:٦٩].

ولا تنس الحبةَ السوداءَ؛ فإن فيها شفاءٌ من كُلِّ داء إلا السامَ، أي: الموت(٢).

ولا تنس ماءَ زمزم؛ واشربْه بنيةِ الشفاءِ، قالَ رسولُ الله ﷺ عن ماءِ زمزم: «**فِيهِ طَعَامُ مِنْ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ**»(٢١٤).

---

(٢١١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٦)، وفي «الأوسط» (١٤٥٣)، والحاكم (١/ ٤٩)، [«صحيح الجامع» (٥٩٣٩)].

(٢١٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

(٢١٣) قياساً على الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، وأحمد (١/ ٢٣٩) ولفظه: «... ربِّ العرشِ العظيم أن يشفيك» وهو دعاء للمريض.

(٢١٤) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٨١)، و«الأوسط» (٣٩١٢)، [«صحيح الجامع» (٣٣٢٢)]

قال ﷺ: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»(٢١٥).

كيف نتركُ أو ننسى كلَّ ذلك ثم نسارعُ إلى السَّحَرةَ والمشعوذين؟!

إخوة الإسلام: الدروسُ والعبرُ في هذا الموقفِ كثيرةٌ.

ولكن اللبيبَ بالإشارةِ يفهمُ.

اللهم ارزقنا الصبرَ على البلاءِ

اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا أَبَداً مَا أَحْيَيْتَنَا

---

(٢١٥) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٩)، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٥٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٢٧)، [«الإرواء» (١١٢٣)].

البـــــــــــــــــــــــــاب الرابـــــــــــــــــــــــــع

الصبرُ فراق الأحبة

ويشملُ أربعة فصول:

الفصلُ الأولُ: الصبرُ على فراقِ الحبيب.

الفصلُ الثاني: الصبرُ على فراقِ الولد.

الفصل الثالث: الصبرُ على موت الولدِ.

الفصل الرابع: الصبرُ على موت الزوج.

الصبرُ على فراق الحبيب

الإنسانُ في هذه الدنيا، في دار الابتلاءِ والامتحانِ. ومنَ الابتلاءاتِ في هذه الدنيا أن يُبْتلى المؤمنُ بموتِ حبيبِه وصفيِّه منْ أهلِ الدنيا.

قالَ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ**» -أي: حبيبه- «**مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّةَ**»(٢١٦).

فالمؤمنُ إذا ابتُلي في هذه الدنيا بموتِ حبيبِه وصفيِّه فعليه أن يصبرَ ويحتسبَ، ويرضى بقضاءِ الله وقَدَرِه.

ومن الأمورِ التي تُعينُه على الصبرِ والاحتسابِ والرضى: أن يتذكرَ مصيبَته في موتِ حبيبِه الأولِ محمدٍ ﷺ؛ فإنها من أعظمِ المصائبِ.

يقول ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ**»(٢١٧).

وموتُ النبيِّ ﷺ مصيبةٌ عظيمةٌ على الثقلَين، كيف لا وهو أحبُّ إلينا مِنْ أنفسِنا ووالِدِينا وأولادِنا ومنَ الناسِ أجمعين؟ بل إن محبتَه ﷺ علامةُ صدقِ الإيمانِ وصحتِه، قال ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِين**»(٢١٨).

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يوماً: يا رسولَ الله! لأنتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيء إلا مِنْ نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: «**لاَ وَالذِي نَفْسِي بِيدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**».

فقال له عمر: فإنه الآنَ واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي.

فقال ﷺ: «**الآنَ يا عُمَر**»(٢١٩).

وقال ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمّا سِوَاهما، وَأَن**

---

(٢١٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٢٤).

(٢١٧) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٥٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٣٤٧)].

(٢١٨) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢١٩) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

يُحبَّ المَرء لاَ يُحِبّه إلاَّ لله، وَأن يَكْره أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْر بَعْد أَنْ أَنْقَذه اللهُ مِنْهُ كَمَا يكرهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٢٢٠).

ويقولُ ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة].

أدلةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنةِ توجبُ على المؤمنِ أن يُحِبَّ رسولَ اللهِ ﷺ أكثرَ من نفسِه ومالِه وأهلِه والناسِ أجمعين، فإذا ابتُلي المؤمنُ في هذه الدنيا بموتِ حبيبِه وصفيِّه فعليه أن يصبرَ ويحتسبَ ويرضى، ويتذكرَ مصيبتَه العُظمى في موتِ الحبيبِ محمّدٍ ﷺ.

تعالوا لنتعلمَ الصبرَ على موتِ الحبيبِ من أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه، وقد ضربَ لنا مثالاً أعلى في الصبرِ على موت حَبيبِه محمّدٍ ﷺ.

هل تعرفونَ مَنْ هو أبو بكرٍ يا أمةَ الإسلامِ؟

١- هو الذي آمنَ برسولِ اللهِ ﷺ، ولم يترددْ ولم يتأخرْ لحظةً واحدةً يوم كفرَ كثيرٌ منَ الناسِ.

٢- هو الذي صدّق النبيَّ ﷺ بكلِّ ما جاء به يومَ كَذَّبه الناسُ، فعندما أخبرَ ﷺ الناسَ بما حدَث وبما كانَ منْ خبرِ الإسراءِ والمعراجِ سارَعَ بعضُ الكفارِ إلى أبي بكر وقالوا له: أما سمعت بما قالَ صاحبك؟ فقال لهم: وما قالَ؟ قالوا له: (يزعمُ أنه أُسرِيَ به من مكةَ إلى بيتِ المقدسِ، ومن هناك عُرِجَ به إلى السمواتِ العُلى، فقال لهم أبو بكرٍ: أو قالَ ذاكَ؟ قالوا له: نعم. قال: إنْ قالَ فقد صَدَقَ فإني أصَدِّقُه بأكبَرَ من ذلك، بالخبرِ يأتيهِ منَ السماءِ)(٢٢١).

٣- أبو بكرٍ الصديقُ الذي قَدَّم نفسَه ومالَه لخدمةِ الإسلامِ الذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ.

يقول عمرُ رضي الله عنه: (أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ: أن نتصدقَ، ووافَق ذلك عندي مالاً، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إنْ سَبَقْتُه يوماً، قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**» فقلتُ: مثلَه.

---

(٢٢٠) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، واللفظ لمسلم.

(٢٢١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٥)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٢٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١٤٣٠)، [«الصحيحة» (٣٠٦)] انظر لفظ الحديث عندهم.

وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عندَه، فقال ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ**»؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَه.

قلت -أي عمر-: لا أسبقُه إلى شيءٍ أبداً)[٢٢٢].

إنه أبو بكرٍ الذي قال المصطفى ﷺ في حَقِّه: «**مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَأْنَاهُ** -أي: جزيناهُ- **مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدِنَا يَداً يُكَافِئهُ اللهُ بِهَا يومَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلاً، أَلاَّ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[٢٢٣].

٤- أبو بكرٍ الصديقُ المسارعُ إلى الخيرات.

إنه أبو بكرٍ الصديقُ المسارعُ دائماً إلى كُلِّ خيرٍ، قال ﷺ يوماً لأصحابه: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ اليَوْمَ صَائِماً**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ اليَومَ جَنَازَةً**» قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ منكم اليَوْمَ مِسْكِينًا**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُم اليَوم مَرِيضاً**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَن في امرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الجَنَّةِ**»[٢٢٤].

٥- أبو بكرٍ الصديقُ الذي تتقربُ الشيعةُ بِسَبِّه ولعنِه -قاتلَهُمُ اللهُ أنى يُؤفكون- وقد سمعتم ما قالَ فيه رسولُ الله ﷺ، أليس أبو بكرٍ هو صاحبُ الغارِ؟! وهوَ الذي وقفَ معَ رسولِ الله بمالِه ونفسِه يحميه بكُلِّ ما يملكُ.

أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه الذي قال فيه ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ في الجَنَّةِ**»[٢٢٥].

وقال فيه: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ**»[٢٢٦].

وقال فيه: «**نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ**»[٢٢٧].

---

(٢٢٢) **حسن**: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١٧٠١)، وعبد بن حُميد (١٤)، والبزار «البحر الزخار» (١٥٩)، [«المشكاة» (٦٠٣٠)].

(٢٢٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦١)].

(٢٢٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٢٢٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٤٧)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٥٦)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (١/ ١٨٨)، [«صحيح الجامع» (٥٠)].

(٢٢٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٨١)، والحاكم (٣/ ٤٧٧)، [«صحيح الجامع» (٨٩٥)].

(٢٢٧) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٦٤)، وأحمد (٢/ ٤١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٧)، وابن حبان (٦٩٥٨)، [«صحيح الجامع» (٦٧٧٠)].

وقال ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ عَائِشَةُ. وَمِنَ الرِّجَالِ أَبُوهَا**»(٢٢٨).

وقال ﷺ في حق أبي بكر: «**أَبَى الله والمؤمنون أن يُخْتَلَفَ عَلَيْكَ يا أَبَا بَكْرٍ**»(٢٢٩).

إنه أبو بكرٍ الصديقُ صاحبُ النبيِّ ﷺ في الغارِ، إنه صدّيقُ هذه الأمةِ وخليفةُ رسولِ الله ﷺ، هذا هو خليفتُنا الراشدُ الأول -رغمَ أنفِ الشيعةِ الروافضِ- إنه مَنْ نسألُ اللهَ أن يجزيَه عنا خيرَ الجزاءِ لما قدّمَ لهذه الأمةِ -رغمَ حقدِ الحاقدين الساخطين-.

خابتِ الشيعةُ وخسرَتْ خسراناً مبيناً يومَ جَعَلَتْ سَبَّ الصديقِ ديناً، بل خَسِئوا ولُعنوا يومَ جعلوا لعنَهُ رضي الله عنه ذِكراً يزعمون التقربَ به صباحَ مساءَ!!

عاملهم الله بما يستحقون إذ أنكروا جميلَ الصِّدِّيقِ وحسدوه منزلَتَه، وغاظهم شرفُه وعلُوُّ مرتبتِه! كيفَ لا وهذا دأبُهُم وتلك شِيَمُهم: الكذبُ والحسدُ والغِلُّ والعداءُ كُلُّ العداءِ لأهلِ السنةِ المقتفين آثارَ الخلفاءِ الراشدينَ والصحابةِ الطيبينَ، فاللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، واطفئْ نارَ الشيعةِ أتباعِ المجوسِ الحاقدين.

وتعالوا بنا لنتعلمَ الصبرَ على موتِ الحبيبِ من أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ فلقد ضربَ لنا مثالاً أعلى يُحتذى، ولنبدأْ الخبرَ من أوله:

ففي حَجَّةِ الوَداع ودّعَ النبيُّ ﷺ أصحابَه، وظهرَ ذلكَ الوداعُ في كلامِه ﷺ وأفعالِه:

ففي عرفَةَ أنزَل اللهُ عزَّ وجَلَّ على نَبيِّه ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ثم عندَ جَمرةِ العقبةِ، قال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحجّ بَعْدَ عَامِي هَذا**»(٢٣٠).

وبعد ذلكَ في أيامِ التشريق نزلتْ عليهِ ﷺ سورةُ النصرِ، فنعى النبيُّ ﷺ نفسَه إلى ابنتِه فاطمةَ.

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ دعا رسولُ الله ﷺ

---

(٢٢٨) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢٢٩) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٤٧)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٨٠)، [«صحيح الجامع» (٢٤)].

(٢٣٠) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢٩٧).

فاطمَة قال: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**» فبكت.

قال: «**لاَ تَبْكِي؛ فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لاَحِقٌ بِي**» فضحكت(٢٣١).

ولمّا رجَع ﷺ من حَجَّةِ الوَداع -وفي المدينة- نزلَ به المرضُ: صداعٌ شديدٌ في رأسِه تقول عائشةُ رضي الله عنها: رَجعَ رسولُ الله ﷺ من البقيعِ، فَوَجَدَني وَأَنا أَجِدُ صُداعاً في رأسي، وَأَنا أقولُ: وارأساهُ! فقال: «**بَلْ أَنَا، يَا عَائِشَةُ! وَارَأْسَاهُ!..**»(٢٣٢).

وأخذَ المرضُ يشتدُّ برسولِ الله ﷺ، وكان يطوفُ على نسائِه، ثم استأذَن نساءَه أن يُمَرَّضَ في بيتِ عائشةَ فأذِنَّ له، وكان ﷺ يخرجُ للصلاةِ فلما غلبَه الوجعُ.

قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاس**»(٢٣٣).

واشتدَّ المرضُ برسولِ الله ﷺ يوماً بعدَ يوم، وأرادَ رسولُ الله ﷺ أن يخرجَ ليخطبَ في الناسِ فطلبَ ﷺ من نسائِه أن يَصْبُبْنَ عليه من الماءِ البارِد، فلما فَعَلْنَ ذلك وجدَ ﷺ من نفسِه خِفةً ونشاطاً، فخرجَ فصلى بالناسِ وخطبَهم، يقولُ أبو سعيدٍ رضي الله عنه: خطبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ فقال: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ**». فبكى أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه: [وهو يقول: فَديناك بآبائِنا وأمهاتِنا] فقلتُ في نفسي -أي: أبو سعيد-: ما يُبكي هذا الشيخَ؟ إنْ يكنِ اللهُ خيّر عبداً بينَ الدنيا وبينَ ما عندَه، فاختارَ ما عندَ الله، فكانَ رسولُ الله ﷺ هو العبدُ، وكان أبو بكرٍ أعلمَنا.

قال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لاَ تَبْكِ إِنّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنَّ أُخُوَّة الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ. لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ، إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ**»(٢٣٤).

إنه أبو بكرٍ الصاحبُ والصديقُ، فهمَ مرادَ النبيِّ ﷺ، وعلمَ أنَّ الرسولَ يودّعهم، ولم يشُكَّ أنَّ العبدَ الذي خُيِّرَ هو رسولُ الله ﷺ!

ثم دخلَ ﷺ بيتَه واشتدَّ به الوجعُ، وحتى انقطعَ عن الصلاةِ بالناسِ، والمرضُ يشتدُّ يوماً بعدَ يوم.

---

(٢٣١) **حسن**: أخرجه الدارمي (٨٠)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٣٠)، وفي «الأوسط» (٨٨٣)، [«المشكاة» (٥٩٦٩)].

(٢٣٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٤٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٢٨)، والدارمي (٨١) وابن حبان (٦٥٥٢)، وأبو يعلى (٤٥٧٩)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٩٦)، [«صحيح ابن ماجه» (١٢٠٦)]

(٢٣٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).

(٢٣٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٦)، وبين الحاصرتين [ ] من البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

دخل عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﵁ على رسولِ الله ﷺ وهو يوعَكُ فقالَ: يا رسولُ الله! إنك لتُوعَكُ وَعْكاً شديداً؟ قال: «**أَجَل، إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ**..»(٢٣٥).

ودخَلتْ فاطمةُ ﵂ على رسولِ الله ﷺ وهو يتغشاهُ الكربُ فقالت: واكَرْبَ أباه، فقالَ لها: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَومِ**»(٢٣٦).

وتقولُ عائشةُ ﵂: (لما نزلَ برسولِ الله ﷺ -أي: اشتدَّ الوَجعُ- طفِقَ يطرحُ خميصةً له على وجهِه، فإذا اغتمَّ بها كشفَها عن وجهِه، فقالَ وهو كذلك: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمِ مَسَاجِدَ**»(٢٣٧).

واشتدَّ برسولِ الله ﷺ الوجعُ، قالت عائشةُ ﵂: وبينَ يَديْهِ رِكْوَةٌ فيها ماءٌ، فجعلَ يُدخِلُ يدَيه في الماءِ فيمسحُ بهما وجهَه يقولُ: «**لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْت سَكَرَاتٍ**».

ثم نصبَ يدَه فجعلَ يقول: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حتى قُبِضَ ومالَتْ يدُه(٢٣٨).

فدخلت فاطمةُ ﵂ على أبيها رسولِ الله ﷺ بعد أن ماتَ وقالت: (يا أبتاه أجابَ رباً دعاه، يا أبتاه مَنْ جنةُ الفردوسِ مأواه، يا أبتاه إلى جبريلَ ننعاهُ)(٢٣٩).

قالت عائشةُ ﵂: ماتَ ﷺ في بيتي، ويومي وبين سَحْري ونَحْري، فلما ماتَ ﷺ وضعَتْ عائشةُ ﵂ رأسَه ﷺ على وسادةٍ وسجّتْهُ ببردةٍ، وخرجَتْ ﵂ وهي تبكي(٢٤٠).

وتناقلَ الناسُ الخبرَ في المدينةِ، وانتشرَ البكاءُ هنا وهناك.

الكبيرُ يبكي، والصغيرُ يبكي، الرجلُ يبكي، والمرأةُ تبكي؛ إنه الخطبُ الجَلَلُ، إنها المصيبةُ التي تهونُ بعدَها المصائبُ!

لقد ماتَ الذي أخرجَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الظلماتِ إلى النور.

---

(٢٣٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢٣٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

(٢٣٧) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٢٣٨) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

(٢٣٩) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

(٢٤٠) انظر: خبر وفاة النبي ﷺ في البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٢٤٤٣)، وفي مسند أحمد (٦/ ٢٧٤).

لقد ماتَ الذي أخرجهُمُ اللهُ به من الشركِ إلى التوحيدِ.

لقد ماتَ الذي أخرجهمُ اللهُ به من الكفرِ إلى الإيمانِ.

انتشرَ البكاءُ هنا وهناك فمِنْ مُصَدِّقٍ للخبر، ومُكَذِّبٍ له، هذا يقولُ: ماتَ رسولُ الله ﷺ، وذاك يقولُ: لا لم يمتْ رسولُ الله ﷺ، بل أخذَ عمرُ رضي الله عنه يتوعَّدُ من قالَ ماتَ رسولُ الله ﷺ.

وذهبَ رجلٌ منَ الصحابةِ إلى أبي بكرٍ الصديقِ ﷺ الذي كانَ وقتئذٍ في منزلِه ليخبِرَه بالمُصابِ العظيمِ الذي حَلَّ بالأمةِ، في موقفِ الصديقِ عند تلقيهِ ذاكَ الخبرِ الأليمِ الجسيمِ موقفٌ إيمانيٌّ عظيمٌ، فيه قدوةٌ وأسوةٌ لنا، يجْمُلُ بكُلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ التحلي به عندَ فقدانِ الأحبةِ والمقربين، ومما قد يزيدُ المواساةَ أن نتذكرَ دائماً أن مصيبتَنا بموتِ أحبِّ الناسِ إلى قلوبِنا رسولِ اللهِ ﷺ كانت أعظمَ المصائبِ فكُلُّ ما بعدَها يهونُ فاسمَعوا واعتبروا يا عبادَ الله بما جرى:

عن عائشةَ رضي الله عنها: (أن أبا بكرٍ رضي الله عنه أقبلَ على فرسٍ من مَسْكنِه بالسُّنْحِ، حتى نزلَ فدخلَ المسجدَ فلم يكلِمِ الناسَ حتى دخلَ على عائشةَ رضي الله عنها، فتيَمَّمَ رسولَ ﷺ وهو مُغَشًّى بثوبٍ حِبَرَةٍ، فكشفَ عن وجْهِه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قالَ: بأبي أنت وأمي والله لا يجمعُ اللهُ عليكَ موتتين، أما الموتةُ التي كُتبتْ عليكَ فقد مُتّها)[٢٤١].

ثم خرج أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى الناسِ –والذين كانوا يتمنَّونَ أن يقولَ لهم أبو بكرٍ: لا إنَّ رسولَ الله لم يَمُتْ، كانت هذه أقصى أمانيهم في ذلكَ الوقتِ، فإن الفراقَ صعبٌ جداً وأليمٌ شديدٌ، ولو كنا معهم لتمنينا أن يخرجَ علينا أبو بكرٍ ويقول: ما ماتَ رسولُ الله. عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه أن: (أبا بكرٍ خرجَ وعمرُ بنُ الخطابِ يكلمُ الناسَ، فقال: إجلسْ يا عمرُ! فأبى عمرُ أن يجلِسَ، فأقبَلَ الناسُ إليه وتركوا عمرَ. فقال أبو بكر: أما بعدُ فَمَنْ كان منكم يعبدُ محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كانَ منكم يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت).

–ثم ذكَّرهم بالآياتِ القرآنيةِ التي يعرفونها، ولكنْ غابَتْ عنهم فلم يتذكروها منْ شدةِ الألمِ والحزنِ على فراقِ الحبيبِ محمدٍ ﷺ.

(قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وقال: واللهِ لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أنَّ اللهَ أنزلَ هذه الآيةَ حتى تلاها أبو بكرٍ فتلقاها منه الناسُ كُلُّهم، فما أسمعُ

---

(٢٤١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٥٣).

بشراً من الناسِ إلا يتلوها...

قال عمرُ: واللهِ ما هوَ إلا أنْ سمعتُ أبا بكرٍ تلاها فَعَقِرْتُ حتى ما تُقلُّني رجلاي، حتى أهوَيْتُ إلى الأرضِ، حين سمعته تلاها علمتُ أنَّ النبيَّ ﷺ قد مات)[٢٤٢].

وصدقَ رسولُ اللهِ ﷺ القائلُ: «**إذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ**»[٢٤٣].

الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخذُ من هذا الموقفِ الإيماني في الصبرِ على وفاةِ الحبيبِ فهي كثيرةٌ، وكثيرةٌ جداً، نذكرُ منها على سبيلِ المثال:

أولاً: على الجميعِ أن يعلمَ ولا يشكَّ طَرْفَةَ عَينٍ أن النبيَّ محمداً ﷺ بشرٌ، يجري عليه ويقعُ عليه ما يقعُ على البشرِ، فهو ﷺ بأبي هو وأمي ماتَ كما يموتُ البشَرُ، قالَ تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء]

وقال جبريلُ عليه السلام: «**يا مُحمّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فإِنَّكَ مجْزِيٌّ بِه، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ..** »[٢٤٤].

إنها سُنّةُ اللهِ في خلقه فالبقاءُ له، وحدَه سبحانه، والموتُ كأسٌ كُلُّ العبادِ شاربٌ منه.

فيابنَ آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويفْنَى المالُ والولدُ
لم تغنِ عنْ هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولَت عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانَ إذ تجرى الرياحُ له ... والأنسُ والجنُّ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... مِنْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ مِنْ وِرده يوماً كما وردوا

---

(٢٤٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٥٤).

(٢٤٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠١٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ١٦٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٨٢)، [«صحيح الجامع» (٣٤٧)].

(٢٤٤) **حسن لغيره**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، وأبو نعيم (٣/ ٢٩٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٢٧)].

ثانياً: أنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وأنه دينُه الذي ارتضاه لعباده، وختمَ به الرسالاتِ؛ فهو خالـدٌ بـاقٍ، والدعوةُ باقيةٌ، والمنهجُ والطريقُ إلى رضى اللهِ والجنةِ واضحٌ، وإنْ ماتَ رسـولُ اللهِ ﷺ الـداعي الأولُ إلى اللهِ، وإن ماتَ بعدَه كُلُّ الدّعاةِ والعلماءِ فإنَّ هذا الدينَ باقٍ إلى يومِ القيامةِ.

ولقد أدى النبيُّ محمدٌ ﷺ الرسالةَ بأمانةٍ بالغةٍ، وأوفى الأمْرَ حقَّه فلم يَمُتْ عليه الـصلاةُ والـسلامُ إلا بعدَ أن تركَنا على البيضاءِ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ أو ضالّ.

وهذا الدرسُ هو الذي أرادَ أبو بكرٍ ﵁ أن ينبهَ الناسَ إليه عندما قالَ لهم: مَنْ كان يعبـدُ محمـداً فـإن محمداً قد مات، ومن كانَ يعبدُ اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لا يموت.

فالرسولُ والأنبياءُ والدعاةُ والعلماءُ كلُّهم يدعونَ الناسَ إلى عبادةِ اللهِ، ويبينونَ لهـمُ الطريـقَ إلى رضى اللهِ والجنةِ، ولذلك مَنْ كانَ صادقاً في حبِّهِ لرسولِه ﷺ فليتـأسَّ بـسنتِه، وليتمـسَّكْ بمنهجـه، وليتمـسَّكْ بطريقته فهو القائلُ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفـاً كَثِـيراً، فَعَلَـيْكُمْ بِـسُنَّتِي وَسُـنَّةِ الْخُلَفَـاءِ الْمَهْدِيِّين الرَّاشِدِين، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدثَاتِ الأُمورِ فَـإِنَّ كُـلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَـةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»[٢٤٥].

وقــال تعــالى: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١**﴾ [الأحزاب]

وقال ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِـي عَـلَى ثَـلاَثٍ وَسَـبْعِينَ مِلَّـةً، كُلُّهُـمْ فِي النَّـارِ إِلاَّ مِلَّـةً وَاحِـدَةً، مَـا أَنَـا عَلَيْـهِ وَأَصْحَابِي**»[٢٤٦].

ثالثاً: لمّا كانَ موتُ الرسولِ ﷺ من أعظمِ المصائبِ؛ لما له من المنزلةِ في قلوبِنا ولما لهُ من الفـضلِ علينـا بتعليمِنا أمورَ دينِنا الذي لا نجاةَ لنا بدونه، كذلك فإنَّ موتَ العلماءِ يُعَدُّ مـصيبةً عظيمـةً عـلى الأمـةِ؛ لأنَّ العلماءَ هم ورثةُ الأنبياءِ، فإنَّ الأنبياءَ لم يُورّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العلمَ، فمن أخذَ به أخذَ بحظٍّ وافرٍ. والواجبُ علينا عبادَ اللهِ إظهاراً لصدقِ حُبِّنا لرسولِنا ﷺ، وللعلماءِ الربانيين مِنْ بعدِه أن نتعلمَ علمَ

---

(٢٤٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

(٢٤٦) حسن: أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والطبراني في «الصغير» (٧٢٤)، و«الأوسط» (٤٨٨٦)، ، والحاكم (١/ ٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

الكتابِ والسنةِ، وأن ندعوَ الناسَ إلى سنةِ رسولِ الله ﷺ، وأن نتمسكَ بسنتِه ومنهجِه، فإذا فعلنا ذلك فقد أثبتْنا أننا نحِبُّ رسولَ الله ﷺ بصدقٍ.

فالمحبة الصادقة تدفع صاحبُها إلى الاتباع.

حشَرَنا الله وإياكم يومَ القيامةِ مع رسولِ الله في جناتِ النعيم.

الصبرُ على فراق الولد

الأولادُ نعمةٌ عظيمةٌ من نعمِ الله علينا، التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣]

الأولادُ زينةُ الحياةِ الدنيا: قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

الأولاد فتنةٌ لوالدِيهم -أي: امتحانٌ واختبارٌ وابتلاءٌ- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

وكان ﷺ يخطبُ يوماً على المنبرِ فجاءَ الحسنُ والحسينُ عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيان ويَعْثُران، فنزلَ رسولُ الله ﷺ مِنْ على المنبرِ فحملَهما فوضعهما بين يديه-أي: على المنبر- ثم قال ﷺ: «**صَدَقَ اللهُ** ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾، **نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيينِ يَمْشِيانِ وَيَعْثُرانِ فَلَمْ أَصْبِر حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهما**»[(٢٤٧)].

عبادَ الله! إن للولدِ مكانةً عظيمةً في قلبِ والِدَيه، وله محبةٌ عظيمةٌ في قلبيهما.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: جاءتني مسكينةٌ تحملُ ابنتَين لها، فأطعمتُها ثلاثَ تَمْراتٍ، فأعطَتْ كُلَّ واحدةٍ منهما تَمْرةً، ورَفَعَتْ إلى فِيها تمرةً لتأكُلَها، فاستطعَمَتْها ابنتاها، فَشَقَّتِ التمرةَ التي كانت تريدُ أن تأكلَها بينهما، -أي: بينَ البنتين- فأعجبني شأنُها، فذكرتُ الذي صنعتُ لرسولِ الله ﷺ، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»[(٢٤٨)]. أي: بهذه التمرة-.

الشاهدُ: المحبةُ والحنانُ في قلبِ هذه الأمِّ لبناتِها وإيثارُها لهنَّ على نفسِها.

---

(٢٤٧) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤)، [«المشكاة» (٦١٦٨)].

(٢٤٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٣٠).

ويقول عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: قدِمَ على رسولِ الله ﷺ بسبْيٍ، فإذا امرأةٌ منَ السبْي تبتغي، إذا وجدت صبياً في السبي، فأخذتهُ فألصقَتهُ ببطنِها وأرضَعَته، فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَة طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**»؟ قلنا: لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(٢٤٩).

الشاهد: أن رحمةَ الأمِّ بأولادِها عظيمةٌ.

ولمّا كانَ الإنسانُ في هذه الدنيا مبتلى، قد يُبتلى في نفسِه، أو في مالِه، أو في أولادِه.

فقد يُبتلى الرجلُ في ولدِه إما بفراقهِ أو بموته.

فالواجبُ على المؤمنِ الصادقِ إذا ابتُلي بفراقِ ولدِه أن يصبرَ ويحتسبَ صَبْرَه عندَ الله عز وجل؛ فإن الصبرَ ضياءٌ.

وتعالَوا بنا لنتعلمَ الصبرَ على فراقِ الولَد مِنْ يعقوبَ عليه السلام، الذي ابتلي بفراقِ بعضِ أولادِه فصبرَ واحتَسَبَ، فجعلَ اللهُ له بعد الهَمِّ فرجاً ومخرَجاً، وجمعَ بينه وبينَ أولادِه جميعاً.

إنَّ يعقوبَ عليه السلام أحبَّ ولدَه يوسفَ حباً عظيماً، فأشعلَ ذلكَ نارَ الحسدِ في قلوبِ إخْوَتِه فقرروا أن يتخلصوا من يوسف.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ -فما كان منهم إلا أن قرروا قَتْلَ يوسف! لكنَّ أحدَهم قال لا تقتلوه، وألقوه في غَيابةِ الجُبِّ قال تعالى ذاكراً مقولتهم: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ [يوسف].

وبعد أن قرروا أن يجعلوه في غيابةِ الجبِّ جاءوا إلى أبيهم و: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ

---

(٢٤٩) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) واللفظ لمسلم.

﴿عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾ [يوسف] -قال لهم يعقوبُ عليه السلام إنني يؤلمني فراقُ يوسفَ، إنني لا أَحتملُ الصبرَ على فراقِه-.

ولكنهم كانوا قد أضمروا أمراً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف]

بالفعلِ لقد قاموا بتنفيذ المؤامرةِ، وألْقوه في غيابةِ الجبِّ، ورجعوا في المساء إلى أبيهم، قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ -صدمةٌ قويةٌ، ومصيبةٌ عظيمةٌ تنزلُ على قلبِ يعقوبَ- ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف:١٦-١٨].

فماذا قال يعقوبُ؟ إنه موقفٌ إيمانيٌّ عظيمٌ في الصبرِ على البلاءِ، أما هذا المصابُ الجسيمُ: يوسفُ أكلَه الذئبُ! مصيبةٌ، ولكنْ هكذا الأنبياءُ والصالحون يتحملونَ الصدمةَ ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

والصبرُ الجميلُ: هو صبرٌ بلا جزَعٍ ولا فزَعٍ ولا اعتراضٍ على قضاءِ اللهِ.

ولقد امتلأَ قلبُه بالحزنِ؛ فهو لا يتحملُ فراقَ يوسفَ، ولكنه يحملُ نفسَه على الصبرِ الجميلِ، ويبثُّ شكواه إلى ربِّ العالمين، قال تعالى عن حالِ يعقوبَ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف]، ومرتِ الأيامُ، وخرجَ يوسفُ من البئرِ، وبيعَ في بلادِ مصرَ بثمنٍ بخسٍ دراهمَ معدودةٍ، وتربى في بيتِ امرأةِ العزيزِ، وخرجَ من بيتها إلى السجنِ فلبثَ في السجنِ بضعَ سنين، ثم قدَّرَ اللهُ أن يخرجَ من السجنِ حفيظاً على خزائنِ الأرضِ في بلادِ مصرَ.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف].

كلُّ هذهِ الأيامِ ويعقوبُ عليه السلام لا يزالُ مرابطاً صابراً راضياً بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه، وإذا بالأسبابِ والأقدارِ تجري بمشيئةِ اللهِ الواحدِ الأحدِ، مسبِّبِ الأسبابِ، العالمِ بأحوالِ العبادِ وحاجاتِهم، فها هو يوسفُ بعدَ أن صارَ حفيظاً على خزائنِ الأرض، وبدأَ الناسُ يتوافدونَ إليه من كُلِّ مكان؛ ليحصلوا على

ما في خزائنِه من الخيراتِ التي ادخرَها في سنينِ الرخاءِ لسنينِ الشدةِ.

وبينما الناسُ يدخلونَ على يوسفَ، يأخذونَ حاجاتِهم ويخرجونَ وإذا بالمفاجأة! وإذا بقومٍ يدخلون على يوسفَ عليه السلام فعرفهم يوسفُ ولكنهم لم يعرفوه.

أتدرونَ مَنْ كان هؤلاءِ يا عبادَ الله؟! إنهم إخوةُ يوسفَ، نعم إنهم الذينَ ألقوه بالأمسِ القريبِ في البئرِ، إنهم الذينَ أرادوا أن يقتلوه!

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف].

سبحانَ الله العظيمِ! سبحانَ الله كيفَ دارتِ الأيامُ! وتبدلَتِ الأحوالُ، فهل سينتقمُ يوسفُ عليه السلام لنفسِه منهم؟ هل سيعاقبُهم على ما آذَوْه من قبل؟ تأملوا نُبلَ أخلاقِه عليه السلام وجميلَ صفاتِه، وسموَّ نفسه! لم يكنْ من هذا النبيِّ الكريمِ ابن الكريمِ إلا أن أكرَمهم وأحسنَ نُزُلَهم، ثم طلبَ منهم أن يأتوا بأخٍ لهم من أبيهم وعلَّل ذَلك لهم بقوله: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف].

ثم أنذَرَهم فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يوسف].

ورجعوا إلى أبيهم وهم يُجمعونَ على أن يرجعوا مرةً ثانيةً بأخيهم ليحصُلوا على الكيلِ الوفيرِ منْ عندِ هذا الرجلِ الطيبِ، فأتَوا إلى أبيهم وطلَبوا منه أن يأخذوا أخاهم معهم في المرةِ القادمة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف].

فلما طلبوا منه هذا الطلبَ، تذَكرَ ما مضى، وما فعلوه بيوسفَ منْ قبلُ، يومَ طلبوا منه أن يأخذوهُ معهم، ثم رجعوا إليه فقالوا: أكله الذئب.

فقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف].

وبعد إلحاحِهم وإصرارِهم على أخذِهم لأخيهم قال لهم أبوهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ

﴿مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦].

فلما أخذَ عليهِمُ العهودَ والمواثيقَ أرسلَه معهم، وقبلَ الرحيلِ -وبعد أن تجهزوا للسفرِ إلى بلادِ مصرَ- قال لهم: ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف:٦٧].

فخرجوا تاركينَ أباهم قد زادتْ آلامُه وحسراتُه بعدَ أن فارقَه أولادُه.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يوسف].

فجهَّزهمْ يوسفُ عليه السلام وأكرَمهم، وكان قد أضمرَ في نفسِه أن يأخذَ أخاه منهم، فأمرَ فتيانَه أن يضعوا الصاعَ الذي يَكيلونَ به في رحلِ أخيه، فلما تجهزوا وتأهبوا للسفرِ إلى بلادِهم ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف].

وحتى لا يكتشفوا الأمرَ بدأ بأوعيتهم قبلَ وعاءِ أخيه، ثم استخرَجها من وعاءِ أخيه، فظنوا أنَّ أخاهم قد سَرَقَ، فقالوا: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ -يقصدون يوسف- ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف].

ولكنْ ماذا يقولونَ لأبيهم إذا رجعوا إليه؟ إنَّ لهم سابقةَ شرٍ بإضاعتهم ليوسفَ من قبلُ، ثم إنَّ أباهم قد أخذَ عليهمُ العهودَ والمواثيقَ بالعودةِ بأخيهم!! فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف].

فحاولوا بكلِّ الطرقِ والوسائلِ فما استطاعوا، فذهبوا بعيداً وجلسوا يتشاورونَ بعد أن يَئِسوا من أن

يأخذوا أخاهم.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾ [يوسف].

وعادوا من بلادِ مصرَ إلى أبيهم مخلِّفين لأخيهم في مصرَ، وكان يعقوبُ عليه السلام هناك ينتظرُ رجوعَهم بكلِّ صبرٍ وشوقٍ؛ إنه قلبُ الوالدِ! ولما رجعوا إليه كانتِ الصدمةُ الثانيةُ ليعقوبَ عليه السلام فقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾ [يوسف].

فماذا فعلَ يعقوبُ عليه السلام؟ لم ينهَرْ يعقوبُ عليه السلام أمامَ هذه المصيبةِ التي تجددت أمامَ عينيه! إنه لا يزالُ رابطَ الجأشِ صابراً محتسباً على ما أصابه وألمّ به وهذا موقفٌ إيمانيٌّ آخرُ!

﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ﴾ -على فقده للولدين- ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف].

لقد ملأ الألمُ والحزنُ قلبَ يعقوبَ على فراقِ أولاده، لكنه كانَ راضياً بقضاءِ الله وقَدَرِه! ثم إنه: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ -أي: تولى يعقوبُ عن أولادِه وجلَسَ بعيداً- ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف] أي: ذهبَ بصرُه من شدةِ الحزنِ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف].

ذهبَ بصرُه، وضعُفَ جسمُه، يبكي بالليلِ والنهارِ على فراقِ أولادِه ولكنه لم يلجأْ إلا إلى الله وحدَه، ثم قال لأبنائه يوماً: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾.

فخرجوا مرةً أخرى ببضاعةٍ مزجاةٍ، وذهبوا إلى بلادِ مصرَ، فلما دخلوا عليه -أي: على يوسفَ- قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾ [يوسف].

ولكُم أن تتصوروا عِظَمَ المفاجأةِ عندما قالَ لهمُ هذا العزيزُ: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف]. عجباً! وما يُدْريه بيوسف؟ ومَنِ الذي أخبرَه خبرَه؟ وأيقظَتْ كلماتُ يوسفَ عليه السلام هذه عقولَهم التي شغلَها الفقرُ والحزنُ وإذا هُمْ أمامَ مفاجأة لم يتوقعوها، ولم تَخْطُرْ لهم على بال!! الدمُ الواحدُ في عروقِهم يَحِنُّ إلى الدمِ المشابهِ، وجعلَ القلبُ يتصلُ بالقلبِ، فقالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

فندموا على ما فعلوا، وتذكروا يومَ أَلْقَوْهُ في البئرِ وهو يستغيثُ بهم ويرجوهم، ويطلبُ منهم أَلاَّ يتركوهُ في البئرِ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف].

إنها صورةٌ من أبهى صورِ العفوِ عندَ المقدرةِ، إنه فعلُ الكرامِ، إنها أخلاقُ الأنبياءِ والصالحين! لقد عفا عنهم بعدَ كُلِّ ما عاناهُ بسببهم، وكان قادراً في هذا المقامِ أن يقتصَّ منهم، لكنها السماحةُ ونبلُ الأخلاقِ، حيثُ قال: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف]. ثم أخبروه ما كانَ مِنْ أمرِ أبيه، ما كانَ مِنْ طولِ ذِكْره ليوسفَ، وعظيمِ حزنِه، وذهابِ بصرِه، فقال لهم: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾ [يوسف].

فانقلبوا إلى بلادِهم بهذا القميصِ، عائدينَ إلى والدِهم الذي طالَ انتظارُه، وعَظُمَ شوقُه إلى أولادِه، عادوا إليه يحملونَ البشائرَ والسرورَ بعثورهم على يوسفَ، وهناك كانَ يعقوبُ عليه السلام لا يزالُ على حالِه يتألمُ ويبكي بالليلِ والنهارِ، كيفَ لا؟ إنه قلبُ الوالدِ؟! لكنَّ هذا القلبَ الذي امتلأ حزناً وهماً دبَّ فيه

شعورٌ غريبٌ عندَ اقترابِ العيرِ، فقال لمن حولَه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف] فتعجبوا من قولِه وظنوا أنه يهذي كما يهذي الشيخُ الهَرِمُ!

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف] إنها قدرةُ اللهِ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ! لقد ردَّ اللهُ إليه بصرَه، ورأى أولادَه أمامَه من جديدٍ!!

يعقوبُ يتجهزُ هو وأولادهُ، لكي يذهبوا إلى بلادِ مصرَ حيثُ يوسف وأخوه، فها هم يقطعونَ الصحراءَ، وهناك على أبوابِ ومداخلِ بلادِ مصرَ استقبالٌ حافلٌ.

وهناكَ في أرضِ مصرَ كانَ اللقاءُ الذي يعجزُ الكلامُ عن وصفه! وكيفَ لنا أن نصفَ لقاءَ الوالدِ بولده الذي غابَ عنه زمناً ليسَ بقليلٍ؟! ولا أبلغَ ولا أفصحَ من كلامِ ربِّ السمواتِ والأرضِ في وصفِ ذلكَ المشهدَ العظيمَ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف].

وهكذا وبعدَ عذابِ السنينَ وصَبْرِها اجتمعَ يعقوبُ عليه السلام معَ أولاده كُلِّهم مرةً ثانية، وهذا هوَ جزاءُ الصبرِ الجميلِ، فالصبرُ مرٌّ مذاقُه لكنَّ عاقبتَه أحلى منَ العسَلِ.

ومن الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ:

أولاً: على الإنسانِ إذا ابتُلِيَ بأي ابتلاءٍ أن يصبرَ، وأن يستعينَ باللهِ عز وجل على هذا الابتلاءِ.

فهذا يعقوبُ عليه السلام عندما قيل له: أنَّ الذئبَ قد أكلَ يوسفَ قالَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

هذه عائشةُ رضي الله عنها عندما ابتليتْ بألسنةِ المنافقينَ، وقالوا فيها ما قالوا، قالت: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

هذا موسى عليه السلام عندما علمَ أنَّ فرعونَ يريد أن يقتُلَه ومَنْ آمَنَ معه قال لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف].

فعلى الإنسانِ إذا ابتُلِيَ في هذه الدنيا أن يستعينَ بالله، وأن يصبرَ على البلاءِ.

قال رسولُ الله ﷺ: «**وَمَنْ يَصبرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِي أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِن الصَّبْرِ**»(٢٥٠).

ثانياً: على الإنسانِ أن يستعينَ في هذه الدنيا دارِ البلاءِ بالصبرِ وبالتقوى.

فهذا يوسفُ عليه السلام لما قالَ له أخوتُه: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قال: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ لِمَ؟! ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾، فعليك بالتقوى، وعليك بالصبر لتنجحَ في كُلِّ ابتلاءٍ في دارِ الابتلاءِ، وعليكَ مَعَ الصبرِ بالصلاةِ فقَد قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

فلا تنْسَ يا عبدَ الله أنكَ في هذه الدنيا تُبتلى بالسراءِ والضراءِ، بالخيرِ والشرِّ، بالغنى والفقرِ، بالصحةِ والمرضِ، بفراقِ الأولادِ، وبموتِ الأولادِ، إذا رُزِقْتَ الأولادَ فأنت مُبتلى، وإن حُرِمْتَ نعمةَ الأولادِ فذاك صنفٌ آخرُ من الابتلاءِ!

صبرٌ على البلاءِ بالضراءِ لتفوزَ وتنجحَ، ولاَ تنْسَيَنَّ الشكرَ على البلاءِ بالسراءِ لتنجحَ وتُفلحَ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ في السراء من الشاكرين، وفي الضراء من الصابرين.

---

(٢٥٠) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ لمسلم.

الصبرُ على موت الولدِ

إنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا يُبتلى في نفسِه ومالِه وولدِه.

كما قال ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٢٥١).

ومنْ عظيمِ الابتلاءِ والامتحانِ والاختبارِ في هذه الدنيا أن يُبتلى الإنسانُ بموتِ ولدِه؛ فإنَّ الولدَ ثمرةُ فؤادِ والِدَيه، وموتُ الولدِ يؤلمُ الوالدَين ويُحْزِنهُما حزناً عظيماً.

يقولُ أبو سِنان: دفنتُ ابني سِناناً، وأبو طلحةَ الخَوْلانيُّ جالسٌ على شفيرِ القبرِ، فلما أردتُ الخروجَ، أخذ بيدي فقالَ: ألا أُبشِرُك يا أبا سِنان؟ قلتُ: بلى. قال: حدثني الضحاكُ بنُ عبدالرحمنِ بنُ عَرْزَبَ عن أبي موسى الأشعريِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الجَنَّةِ وَسَمُّوه: بَيْتَ الحَمْدِ**»(٢٥٢).

فتأملوا قولَه: «**يا ملائكتي قَبَضْتُم ثمرةَ فؤادِهِ**» فالولدُ ثمرةٌ من قلبِ والِدَيه.

ويقولُ ﷺ: «**كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتْ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلى دَاوُدَ عَليه السّلام، فَقَضَى بِهِ للكُبْرَى، فَخَرَجْتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بِنْ دَاودَ عليهما السلام، فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَال: ائْتُونِي بِالسكينِ أَشُقَّهُ بَيْنَهُما. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ الله! هُو ابنُها، فَقَضَى بِهِ للصُّغْرَى**»(٢٥٣).

الشاهدُ: أنَّ الغلامَ هو ابنُ الصغرى، ورغمَ ذلك عندما رأتْ أنه سيشُقُّه بالسكينِ قالت: لا تفعلْ يرحمُكَ اللهُ هو ابنُها، دلّ ذلك على أنَّ الولَد ثمرةٌ من قلبِ والِدَيه، يتألم لألِمه، ويحزنُ لفراقِه.

ومرَّ النبيّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عندَ قبرٍ -وفي رواية «تبكي على صبيٍّ لها»- فقال ﷺ: «**اتَّقِي اللهَ**

(٢٥١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، وابن حبان (٢٩١٣)، [«الصحيحة» (٢٢٨٠)].

(٢٥٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، وابن حبان (٢٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٠٠)، [«صحيح الترمذي» (٨١٤)].

(٢٥٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠).

وَاصْبِرِي»، قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفْه، فقيل لها: إنه النبيُّ ﷺ، فأتت باب النبيِّ ﷺ فلم تجدْ عندَه بوابين، فقالت: لم أعرِفْكَ.

فقال ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»(٢٥٤).

الشاهدُ: أنَّ المرأةَ بكَتْ عند قبرِ ولدها ألماً لفراقه.

ويقولُ أنسٌ رضي الله عنه: دخَلْنا معَ رسولِ الله ﷺ على أبي سيفٍ القَيْنِ، وكان ظِئْراً لإبراهيمَ عليه السلام؛ أي: زوجَ مرضعةِ إبراهيمَ ابنِ النبيِّ ﷺ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ إبراهيمَ فقبَّلَه، وشمَّهُ ثم دخلْنا عليه بعدَ ذلك، وإبراهيمُ يجودُ بنفسِه، فَجَعلَتْ عينا رسولِ الله ﷺ تذرفان، فقال له عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه: وأنت يا رسولَ الله؟ فقال: «**يَا ابْنَ عَوفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبعَها بأُخْرَى.

فقال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبُ يَحْزَن، وَلاَ نَقُولُ إلاَّ مَا يُرضي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُون**»(٢٥٥).

تبينَ لنا من هذه الأدلةِ أن الولدَ ثمرةُ قلبِ والدَيه، لذا فهما يتألمان لموتِه، ويحزنانِ لفراقه، ولكنْ يجبُ على المؤمنِ الصادقِ في إيمانِه أن يصبرَ إذا ابتُلي بموتِ ولدِه، وأن يحتسبَ ويسترجعَ ويرضى بقضاءِ الله وقدَرِه، وعليه أن يعلمَ أنَّ ما أصابَه لم يكن ليخطِئَه وما أخطأَهُ لم يكنْ ليصيبَه، وعليه أن يتذكرَ أنَّ الصبرَ عندَ هذه المصيبةِ وفي هذا الموقفِ له أجرٌ عظيم عندَ الله، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة]

ويقول ﷺ: «**مَا مِنْ مُسلِمَيْن يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إلاَّ أَدْخلَهُم اللهُ وَأَبَويْهِم الجَنَّة بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ قال: وَيَكُونونَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوابِ الجَنّة، فَيُقال لَهُم: ادْخُلوا الجَنّة، فَيَقُولونَ حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا، فَيُقالُ لَهُم: ادْخُلُوا الجَنّة أَنْتُم وَأَبَواكُم بِفَضلِ رَحْمةِ الله**»(٢٥٦).

ويقولُ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٌ مَاتَ لَهَا ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَاباً مِنَ النَّارِ**» قالت امرأة: واثنان؟ قال ﷺ:

---

(٢٥٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).

(٢٥٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

(٢٥٦) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن» (٤/ ١١٣)، وفي «الشعب» (٩٧٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٢٥)، [«أحكام الجنائز» (ص٣٤)].

«**واثنان**»[٢٥٧].

ويقول ﷺ: «**يقول الله تعالى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّةَ**»[٢٥٨].

وتعالَوا بنا لنتعلمَ الصبرَ على موتِ الولدِ من أمّ سُلَيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهي قد ضربَتْ لنا مثالاً أعلى في الصبرِ على موتِ الولدِ.

قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالَ مالكٌ أبو أنسٍ لامرأته أُمِّ سُلَيم- وهي أُمُّ أنس -إنَّ هذا الرجلَ- يعني النبيَّ ﷺ -يُحَرِّمُ الخمرَ، فانطلَقَ حتى أتى الشامَ فهلَك هناكَ، فجاءَ أبو طلحةَ، فخطبَ أمَّ سُلَيمٍ، فكلمها في ذلك، فقالت: يا أبا طلحةَ، ما مثلُك يُردّ، ولكنك امرؤٌ كافرٌ، وأنا امرأةٌ مسلمةٌ لا يصلُحُ لي أن أتزوجَكَ!

فقال: ما ذاك دَهرَكِ! قالت: وما دهري؟ قال: الصفراءُ والبيضاءُ! -وهذا موقفٌ إيمانيٌّ فهي لا تنخدِعُ بالمالِ- قالت: فإني لا أريدُ صفراءَ ولا بيضاءَ، أريدُ منكَ الإسلامَ، فإن تُسلمْ فذاك مَهري، ولا أسألُكَ غيرَه -وهو مهرٌ عزيزٌ غالٍ- قال: فَمَنْ لي بذلك؟ قالت: لكَ بذلكَ رسولُ الله ﷺ، فانطلَقَ أبو طلحةَ يُريد النبيَّ ﷺ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابِه، فلما رآه قال: جاءكُم أبو طلحةَ غُرَّةُ الإسلامِ بينَ عينيه، فأخبرَ رسولَ الله ﷺ بما قالت أمُّ سُلَيم، فتزوجَها على ذلك.

مواقفُ إيمانيةٌ يعجَزُ عنها الكثيرون، امرأةٌ تَطلبُ الإسلامَ مهرَها وتُصِرُّ على ذلكَ، وقد أسلمَ أبو طلحةَ، يقولُ ثابتٌ البُنانيُّ -وهو أحدُ رواةِ القصةِ عن أنسٍ-: فما بَلَغَنا أنَّ مهراً كانَ أعظَم منه أنها رضِيَتِ الإسلامَ مهراً، فتزوجَها وكانتِ امرأةً مليحةَ العينين، فيها صِغرٌ فكانت معه حتى وُلَد له بُني، وكان يحبُّهُ أبو طلحة حباً شديداً، ومرضَ الصبيُّ مرضاً شديداً، وتواضَعَ أبو طلحَة لمرضِه أو تَضَعضَعَ له. فكان أبو طلحَة يقومُ صلاةَ الغداةَ يتوضأُ، ويأتي النبيَّ ﷺ فيصلي معه، ويكونُ معه إلى قريبٍ من نصفِ النهارِ، ويجيءُ يقيلُ ويأكلُ، فإذا صلى الظهرَ تهيأ وذهبَ، فلم يجيْء إلى صلاةِ العَتَمةِ -أي: إلى صلاةِ العشاءِ-.

فانطلَق أبو طلحَة عشيةً إلى النبيِّ ﷺ (وفي رواية: إلى المسجد) وماتَ الصبيُّ فقالَت أمُ سُليم: لا يَنْعِيَنَّ إلى أبي طلحةَ أحدٌ ابنَه حتى أكونَ أنا الذي أنعاهُ له-أي: إياكُم أن تخبِروه، اتركوا الأمرَ لي فأنا أُخبِرهُ بموتِ ولدِه- فهيَّأتِ الصبيَّ، فَسَجَّتْ عليه، ووضَعته في جانبِ البيتِ، وجاءَ أبو طلحةَ مِنْ عندِ رسولِ

---

(٢٥٧) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣).

(٢٥٨) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٢٤).

الله ﷺ حتى دخلَ عليها ومعه ناسٌ منْ أهلِ المسجدِ من أصحابه.

فقال: كيفَ ابني؟

فقالت: يا أبا طلحةَ ما كانَ منذُ اشتكى أسكَن منهُ الساعةَ، وأرجو أن يكونَ قد استراحَ، -فكلامُها يحتملُ ذلكَ، ويحتملُ الآخرَ أنه قد ماتَ واستراحَ-.

فأتته بعشائِه فقرَبته إليهم فتَعَشَّوا، وخرج القومُ، فقامَ أبو طلحَة إلى فراشِه فوضعَ رأسَه.

-كيف تحملَتْ أم سُليم؟ كيف كَتَمَتْ حزنَها؟ كيف كتمت دمعَتها والمرأةُ في هذا الموقفِ لا تتحمَّلُ؟ تبكي بلا وعيٍ ولا شعورٍ إلا مَنْ رحمَ الله، فانظروا عبادَ الله! سألَ عن ابنِه فأجابته بأنه قد تحسَّن- ثم قامَتْ -أمُ سُليم- فتطيبت وتصنَعتْ له أحسنَ ما كانت تَصَنَّعُ قبلَ ذلك، ثم جاءَت حتى دخلَت معه الفراشَ، فما هو إلا أنْ وجدَ ريحَ الطِّيبِ فكانَ منه ما يكونُ منَ الرجلِ إلى أهله -اللهُ أكبر إنهُ الإيمانُ يفعلُ هكذا بأصحابه-.

فلما كان آخرَ الليل قالت: يا أبا طلحةَ! أرأيتَ لو أن قوماً أعاروا قوماً عاريَّةً لهم، فسألوهم إيَّاها أكانَ لهم أن يمنعوهم؟ فقال: لا، قالت: فإنَّ اللهَ عز وجل كان أعارَك ابنكَ عارية، ثم قبضَه إليه، فاحْتَسِبْ واصبرْ!

فغضِبَ ثم قال: تركْتِني حتى إذا وقَعْتُ بما وقَعْتُ به نَعَيْت إليَّ ابني! فاسترجَعَ وحَمِدَ اللهَ.

الله أكبر! كم مِن امرأةٍ على وجهِ الأرضِ اليومَ تستطيعُ أنْ تفعلَ ذلك؟

فلما أصبحَ اغتسلَ، ثم غدا إلى رسولِ الله ﷺ فصلى معه فأخبرَه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: [«**أَعَرَّسْتُم اللَّيْلَةَ**»؟ قال -أبو طلحَة-: نعم، قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**»] فَثَقُلَتْ منْ ذلكَ الحملِ و[ولدَت غلاماً].

فقال أبو طلحَة: يا أنسُ! احمِلْه حتى تأتيَ به النبيَّ ﷺ وبعث معه بتمراتٍ، فأخذها النبيُّ ﷺ فمضغَها ثم أخذَها من فِيهِ فجعلَها في فِيِّ الصبيِّ ثم حَنَّكَه وسماه عبدَ الله(٢٥٩).

وفي رواية للبخاري: قال ابنُ عيينةَ: فقال رجلٌ منَ الأنصارِ: فرأيتُ لهما تسعةَ أولادٍ، كُلُّهم قد قرأَ القرآنَ(٢٦٠).

---

(٢٥٩) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، وما بين [ ] من مسلم (٢١٤٤).

(٢٦٠) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٠١).

وذلك ببركةِ دعوةِ النبيِّ ﷺ ثم بفضلِ هذا الموقفِ العظيم لصبرِ أُمِّ سُليم التي صبَرت وتحملَت فلولا أنها صَبَرت، وعملت ما عملت ما كان هذا الغلامُ في هذهِ الليلةِ إلاّ أنْ يشاءَ الله.

الدروسُ والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ مِنْ هذه القصةِ:

أولاً: الصبرُ والاحتسابُ عندَ موتِ الولدِ وفراقِه.

إذا ابتُلِيَ الإنسانُ بموتِ ولدِه -وهو معرَّضٌ في أيةِ لحظةٍ لذلكَ في دارِ البلاءِ- فعليه أن يصبرَ ويحتسبَ، ويسترجعَ، وعليه أن يجددَ إيمانَه ورضاهُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه؛ لأنه إذا لم يفعلْ ذلكَ فلربما وقعَ في المخالفاتِ الشرعيةِ التي لا تُرضي اللهَ عز وجل ومن ذلك على سبيلِ المثال:

١- النياحةُ: وهي أمرٌ زائدٌ على البكاءِ، وهي محرمةٌ شرعاً.

قال ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُما بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، والنِّيَاحَةُ عَلى المَيِّتِ**»(٢٦١).

قال ﷺ: **أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأَحْسابِ، والطَعْنُ في الأَنْسابِ، وَالاسْتِسْقاءُ بِالنُّجُومِ**(٢٦٢)، **والنِّياحة**»، وقال ﷺ: **النَائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقَام يَوْمَ القِيَامةِ وعَلَيْهَا سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، وَدِرْعٌ منْ جَربٍ**(٢٦٣)»(٢٦٤).

٢- ضربُ الخدودِ، وشقُّ الجيوبِ، والدعوى بدعوى الجاهلية.

يقول ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجِيُوبَ، وَدَعَى بِدَعْوَى الجَاهِلِيّة**»(٢٦٥).

ثانياً: أنه يجبُ على المرأةِ حتى في لحظاتِ الحزنِ أن تعرفَ حَقَّ زوجها، وأن تقومَ على خدمتِه، وعليها أن تقتديَ بما فعلَت أم سُليم، وَلْتَحْرِصِ المرأةُ أن تُبْعِدَ عن بيتِ زوجِها النكَدَ، والهمَّ والغَمَّ. فاليومَ قد يموتُ ابنُها، وغداً قد يموتُ أخوها، وبعدَ غد سيمُوتُ أبوها، فلو أنها حزنت ومَلأَتْ بيتها حزناً معَ كُلِّ حادثة فإنها ستحَوِّلُ بيتَ زوجِها إلى بيتِ كآبةٍ وهَمٍّ وغَمٍّ، فعلى المرأةِ العاقلةِ أن تتفقَه وأن تتعلمَ، وأن تعلم بأنَّ ما عليها عند موتِ الولدِ إلا أن ترضى بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه، فإن فَعَلَتْ ذلكَ عوضَها الله -كما

---

(٢٦١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٧).

(٢٦٢) كما كان في اعتقادهم أن نزول المطر بسقوط نجم في المغرب -مع الفجر- وطلوع آخر يقابله من المشرق.

(٢٦٣) قيل: يعني يُسلط على أعضائها الجرب والحكة، بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص. والله أعلم.

(٢٦٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢٦٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

عَوَّضَ أمَّ سُليم- بولدٍ قد يكونُ خيراً منَ الذي أُخِذَ منها، فَمَنْ حمِدَ اللهَ واسترجَع عندَ المـصيبةِ أخلَفـه اللهُ في مصيبتِه خيراً منها.

الصبرُ على موت الزوج

لقد تقررَ لدينا أنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا مبتلى، فهو مبتلى بالسراءِ والضراءِ، بالخيرِ والشرِّ، لأنه في هذه الدنيا في دارِ ابتلاءٍ وامتحانٍ واختبارٍ.

ومن جملةِ الابتلاءِ: أن تُبتلى المرأةُ بموتِ زوجِها.

والواجبُ على المرأةِ المسلمةِ في هذه الحال أن تصبرَ وتحتسبَ، وترضى بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه.

ومن الأمورِ التي تُعينها على ذلك أن تتذكَرَ مصيبَتَها بموتِ رسولِ اللهِ ﷺ، فهي مِنْ أعظمِ المصائبِ.

يقول ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ المَصَائِبِ**»(٢٦٦).

لقد شُرِعَ زواجُ الرجلِ من المرأةِ لأنَّ الرجلَ لا يسكُنُ ولا يطمئنُّ إلا بزوجته، والزوجةُ لا تسكُنُ ولا تطمئنُّ إلا بزوجها، إنها سنّةُ اللهِ في خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

ورفعَ اللهُ الرجلَ على المرأةِ درجةً، وجعلَ الرجلَ هو المسئولُ عن مؤونةِ البيتِ، ومسئولٌ عن رعيتِه، وربُّه عز وجل سائلهُ يومَ القيامة عن هذه الأسرةِ التي استرعاهُ إياها.

فالرجلُ له حقٌّ عظيمٌ على زوجتِه، ولكنَّ كثيراً من النساءِ -إلا مَنْ رحم ربي- لا تعرفُ حَقَّ زوجِها إلا بعدَ أن تفقدَه بالموتِ، وبعد أن ترى الواحدةُ منهنَّ موتَ زوجِها تتمنى أن لو عاشَ معها حتى ولو كانَ مريضاً لا يخرجُ من البيتِ، وقد جاءتِ الأدلةُ الكثيرةُ التي تبيِّنُ حَقَّ الزوجِ على زوجتِه.

١- يقول ﷺ: «**لَوْ كُنْت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يُسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها**»(٢٦٧).

٢- ويقول ﷺ: «**حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا**(٢٦٨) **مَا أَدَّتْ حَقَّه**»(٢٦٩).

---

(٢٦٦) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٥٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٥٢)، [«صحيح الجامع» (٣٤٧)].

(٢٦٧) **حسن صحيح**: أخرجه الترمذي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥٢)، وأحمد (٤/ ٣٨١)، والحاكم (٤/ ١٩٠)، والدارمي (١٤٦٧)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٩٧)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤٠)].

(٢٦٨) أي: بلسانها غير متقذرة لذلك، «فيض القدير» (٣/ ٥٠١).

٣- ويقول ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ الله، لأَمَرْتُ المَرأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها، وِالّذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ، لاَ تُؤَدِّيَ المَرْأةُ حَقَّ رَبِّهَا، حَتّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِها كُلّه، حَتّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَها وهِيَ عَلَى قَتَبٍ[٢٧٠] لَمْ تَمْنَعْه»[٢٧١].

٤- ويقولُ ﷺ: «ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ؟ النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، والصِّدِّيقُ في الجَنّة، والشّهيدُ في الجَنّةِ، والمَوْلُودُ في الجَنّةِ، والرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ في نَاحِيةِ المَصْرِ لاَ يَزُورُهُ إلاَّ للهِ عَزّ وجلّ، ونِسَاؤُكُمْ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ: الوَدُودَ الوَلُودَ العُؤدد على زَوْجِهَا؛ التي إِذَا غَضِبَ جَاءَتْ حَتّى تَضَعَ يَدَهَا فِي يَدِ زَوْجِهَا وتقولُ: لا أَذُوقُ غَمْضًا حَتّى تَرْضَى»[٢٧٢].

٥- ويقول ﷺ: «لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى امرَأةٍ لاَ تَشْكُرُ لِزَوْجِها، وَهِيَ لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ»[٢٧٣].

٦- ويقول ﷺ: «إِذا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَها، وَصَامَتْ شَهْرَهُا، وحَصَّنَتْ فَرْجَها، وَأَطَاعتْ زَوْجَها، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنّةَ مِنْ أيِّ أَبْوَاب الجَنّةِ شِئْتِ»[٢٧٤].

٧- ويقول ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ تُجاوِزُ صَلاَتُهُم آذانَهُمْ: العَبْدُ الآبقُ حَتّى يَرْجع، وامرَأةٌ باتَتْ وَزَوْجُها عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُون»[٢٧٥].

٨- ويقول ﷺ: «إِذَا بَاتتْ المَرْأةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِها، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِح»[٢٧٦].

---

(٢٦٩) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٨٣)، وابن حبان (٤١٥٢)، والحاكم (٢/ ٢٠٥)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٤٧٦)، [«صحيح الجامع» (٣١٤٨)].

(٢٧٠) قتب: مكان تجلس عليه المرأة للولادة.

(٢٧١) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٠١)، وابن حبان (٤١٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٠٠)، [«صحيح الجامع» (٥٢٩٥)].

(٢٧٢) **حسن**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٧٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٤٠)، وفي «الأوسط» (٥٦٤٨)، [«الصحيحة» (٢٨٧)].

(٢٧٣) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٢٠٧)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٤٨٠)، والبزار «كشف الأستار» (١٤٦٠)، [«الصحيحة» (٢٨٩)].

(٢٧٤) **صحيح**: أخرجه وأحمد (١/ ١٩١)، ابن حبان (٤١٥١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٥٩٨)، [«صحيح الجامع» (٦٦٠)].

(٢٧٥) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٦٠)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ١٨٣)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٤)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٤٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٤٨٧)].

(٢٧٦) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦) واللفظ لمسلم.

٩- ويقول ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَها الطَّلاَقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»(٢٧٧).

إنها أدلة كثيرة جداً تُظهرُ وتبينُ عِظَم حَقِّ الزوجِ على زوجتِه، والمرأةُ المسلمة -التي أدى زوجُها حَقَّها- تعرفُ حَقَّ زوجها وتؤدي له حقَّه، وتعرفُ له قَدْرَه فتحبُّه وتقومُ على خدمتِه طاعةً لله، فإذا ماتَ هذا الزوجُ فلابدَّ أن تتألمَ الزوجةُ المسلمةُ لموته، وتحزنَ لفراقه فما عليها إلا أن تستعينَ باللهِ وتصبرَ لله، وعليها أن تحتسبَ أجرَها عندَ الله، وأن ترضى بقضاءِ الله وقَدَره ولا ننسى أن تقولَ -كما أمرَها الله-: (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أَجُرني في مصيبتي، وأَخلِفْ لي خيراً منها).

ومِنَ النساءِ المؤمناتِ اللاتي صَبَرْنَ على موتِ الأزواجِ واحتَسبْنَ أمُّ سلمةَ ﵂ فتعالَوا بنا نستمعُ ونتذَّكرُ خبرَ أمِّ سلمةَ ﵂ عند وفاةِ زوجِها؛ فلقد ضربَت للنساءِ مثالاً أعلى في الصبرِ على موتِ الأزواجِ:

وكانت أمُّ سلمةَ ﵂ تحبُّ زوجَها حباً عظيماً، وتعرفُ حقَّه وقَدْره، يظهرُ ذلك من قولِها بعدَ موته: (أيُّ المسلمين خيرٌ مِنْ أبي سلمة؟)(٢٧٨)، وفي هذا استعظامٌ منها لشأنِ زوجِها، وتعجُّبٌ واستبعادٌ منها أن يكونَ لها خلفٌ خيرٌ منه!

تقول أمُّ سلمةَ ﵂: (لما ماتَ أبو سلمةَ قلتُ: غريبٌ وفي أرضِ غُرْبة -أي: أنه من أهلِ مكة وماتَ بالمدينةِ- لأبكينّه بكاءً يُتحَدَّثُ عنه)(٢٧٩).

لقد كانَتْ هذه المرأةُ تحبُّ زوجَها حباً عظيماً فلما ماتَ حزنت عليه، وها هي تقولُ عنه: غريبٌ، والغريبُ في بلدِ الغربةِ يُتأَلَّمُ لموتِه.

قالت: (فكنتُ قد تهيأتُ للبكاءِ عليه، إذ أقبلَتِ امرأةٌ منَ الصعيدِ -أي: من عوالي المدينةِ- تريدُ أن تُسْعِدَني -أي: تساعدَني- في البكاءِ فاستقبلَها رسولُ الله ﷺ فقال: «**أَتُريدَين أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتاً أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْهُ؟**» -مرتين- فكففتُ عن البكاء، فلمْ أبك(٢٨٠).

وتقولُ ﵂: (لما ماتَ أبو سلمَة أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! إن أبا سلمةَ قد ماتَ، قال

---

(٢٧٧) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٢٧٧)، والدارمي (٢٣١٦)، [«غاية المرام» (٢٦٣)].

(٢٧٨) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٨).

(٢٧٩) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٢).

(٢٨٠) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٢).

ﷺ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ولَهُ، وأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنة**»[٢٨١].

فقالت كما أمَرها ﷺ.

وتقولُ رضي الله عنها: (دخلَ رسولُ الله ﷺ على أبي سلمةَ وقد شَقَّ بَصَرُهُ، -أي: شَخَصَ، والإنسانُ إذا ماتَ شَخَصَ بَصَرُهُ، ولذلك من السنةِ إغماضُ العينين -فأغمضَه. ثم قالَ ﷺ: «**إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ تبِعَهُ البَصَرُ**» -أي: إذَا خرجَ الروحُ من الجسدِ يتبعُه البصرُ ناظراً أينَ يذهبُ-.

فضجَّ ناسٌ من أهله فقالَ ﷺ: «**لا تَدْعُوا عَلَى أنْفُسِكُم إلاَّ بَخَيْرٍ؛ فَإنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلى مَا تَقُولُونَ** ثم قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، واخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، واغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ونَوِّر لَهُ فيه**»[٢٨٢].

وماتَ أبو سلمةَ وحزِنَتْ أمُّ سلمةَ لفراقِهِ حزناً شديداً، لكنها صبَرَت واحتسَبَتْ واسترجَعَتْ ورضيتْ بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، فجنت ثمارَ صبرِها في الدنيا قبلَ الآخرة.

هاهي أمُّ سلمةَ تخبرُنا خبرَ ما حدثَ معها، وتذكرُ لنا بعضاً من نتائجِ الصبرِ في الدنيا قبل الآخرة.

تقول رضي الله عنها: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصيبُهُ مُصِيبةٌ فَيقول مَا أَمَرَهُ الله: إنّا للهِ وإنَّا إليه راجِعُون، اللَّهُمَّ أجُرْنِي في مُصِيبَتِي واخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إلاّ أخْلَفَ اللهُ له خَيْرًا مِنْهَا**».

قالت رضي الله عنها: فلما ماتَ أبو سلمةَ قلت: أيُّ المسلمينَ خيرٌ من أبي سلمةَ؟ أولُ بيتٍ هاجرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ).

ولم يخطرْ ببالها يوماً ما أنها ستكونُ زوجةً لرسولِ الله ﷺ!

تقول رضي الله عنها: (ثم إني قُلتُها، فأخلفَ اللهُ لي رسولَ الله ﷺ)- إنه الإيمانُ يظهرُ في هذهِ المواقفِ، الذي كانَ دافعاً لها أن تصبرَ وتسترجعَ وتدعو، فأخلفَ اللهُ عليها خيراً من أبي سلمةَ؛ نعم، لقد أخلفَها رسولَ اللهِ ﷺ.

وتقولُ رضي الله عنها: (أرسلَ إليَّ رسولُ اللهِ ﷺ حاطِبَ بنَ أبي بَلتَعَةَ يخطِبُني له، فقلتُ: إنَّ لي بنتاً وأنا غيور.

---

(٢٨١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٩).

(٢٨٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٢٠).

فقال ﷺ: «**أَمَّا ابْنَتُها فنَدْعُو اللهَ أن يُغنيَها عَنْها، وأدعُو اللهَ أن يَذْهَبَ بالغَيْرَة**»(٢٨٣).

فأغنى اللهُ ابنتَها عنها، وأذهبَ اللهُ غيرتَها، وتزوجَتْ من رسولِ الله ﷺ وأصبحَتْ من أمهاتِ المؤمنينَ زوجةً لرسولِنا ﷺ في الدنيا وفي جناتِ النعيم).

ومن الدروسِ والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من هذا الموقفِ الإيمانيِّ العجيب!

أولاً: يجبُ على المرأة إذا ماتَ زوجُها أن تصبرَ وتحتسبَ وترضى بقضاءِ الله وقدَره، وتقول كما قالَتْ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها وكما علَّمها رسولُ الله ﷺ: «**إنّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، واخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْها**».

فإن فعلَتْ ذلك أخلفَ اللهُ لها في الدنيا خيراً من زوجِها، وأما في الآخرةِ فإنَّ لها الأجرَ العظيمَ الذي أُعِدَّ للصابرين والصابرات.

يقول اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]

ثانياً: على المرأةِ المسلمة إذا ماتَ زوجُها أن تبتعدَ عن المخالفاتِ الشرعيةِ من نياحةٍ، وضربٍ للخدودِ، وشقٍّ للجيوبِ، أو أن تدعوَ بدعوى الجاهلية، فإنَّ ذلكَ حرام.

ثالثاً: يجوزُ للمرأة إذا ماتَ زوجُها، وانتهت عدّتها أن تتزوجَ، ولا يجبُ عليها الامتناعُ عن الزواج بحجةِ أنها تريدُ تربيةَ أولادِها؛ فإنَّ المرأة -عادةً- لا تستغني عن الزوجِ، ولقد بيَّنَ لنا اللهُ عز وجل أنَّ المرأةَ لا تسكُنُ أبداً إلا في ظلِّ زوجها، وأن الزوجَ لا يسكُن أبداً إلا في ظلِّ زوجته فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

فإلى كُلِّ امرأةٍ تمتنعُ منَ الزواجِ بعدَ وفاةِ زوجِها بحجةِ أولادِها -وهي في داخلِها تتمنى أن تتزوجَ في كُلِّ لحظة- لكنها تخافُ من كلامِ الناسِ نقولُ لها: هذه أمُّ سلمةَ قالت لرسولِ الله ﷺ: إنَّ لي بنتاً وأنا امرأة غيورُ، ومعَ ذلك تزوجَتْ وعاشتْ مع زوجِها، فالزواجُ للمرأةِ بعدَ أن يموتَ زوجُها مما أباحَه اللهُ وهو

(٢٨٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١٨).

مِنْ شرعِ اللهِ، وليس بحرامٍ أبداً كما يفهمُ كثيرٌ من النساءِ.

فعلى المرأةِ أن تتقيَ اللهَ في نفسها، وعلى وليِّها أن يتقيَ اللهَ فيها، فإذا ماتَ زوجُها وانتهت عدتُها ثم عُرِضَ عليها الزواجُ بآخرَ، وجاءَها من يَخْطِبها فلا ترفضْ ذلكَ.

اللهمَّ استر نساءَنا ونساء المسلمين.